التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة الثامنة عشرة، العدد الحادي العاشر، آب ٢٠٢٢

مختارات آبائية/ حياة روحية

القديس يوحنا كرونشتادت، عظة في رقاد والدة الإله

القديس نيقولا فيليميروفيتش، أسلحتنا في وجه الخوف

القديس فيلاريت درودزوف موسكو، التعليم الديني المطوّل – ٦

رعائيات / حياة روحية

المطران أثناسيوس متروبوليت ليماسول. الشيخ صُفروني وآخرون ممَّن كانوا كاملين في المسيح، أسئلة وأجوبة

الميتروبوليت أنتوني (بلوم) مطران سوروج. يوحنا المعمدان

الميتروبوليت ييروثيوس فلاخوس، ميلاد والدة الإله

الأب أنطوان ملكي، التبنّي

لاهوت

الأب جورج فلوروفسكي. جسد المسيح الحيّ

إيريني أرتامي وخريستوس تارازيس. اللاهوت الصوفي كطريق إلى معرفة الله

عظة في رقاد والدة الإله

القديس يوحنا كرونشتادت
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

لنفرحْ أيها الإخوة والأخوات المحبوبون لأننا ننتمي إلى الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة، وَلنمجّدْ بحقٍ والدة الإله الفائقة القداسة في هذا اليوم البارز بين كل أيام السنة بوقار خاص. هناك على الأرض العديد من المجتمعات والبلدان التي بأكملها لا تراعي الحاجة أو الالتزام بالدعوة وتمجيد ملكة السماء والأرض، والدة ربنا الإله يسوع المسيح، والقديسين والملائكة؛ ولا تكرّمها بطاعة ومحبة، لكونها والدة الله الحقيقية. للأسف، بيننا في روسيا في هذه الأيام هراطقة يحقّرون بنشاطٍ والدة الإله والقديسين وأيقوناتهم ورفاتهم وأعيادهم. حبّذا لو أنهم باتّفاق الآراء معنا يمجّدون ملكة السماء والأرض الشريفة!

اليوم الكنيسة المقدسة تمجّد احتفالياً رقاد والدة الإله أو انتقالها من الأرض إلى السماء. يا للانتقال الرائع: رقدت بسلام من دون مرض مستفحِل. رُفِعَت روحها بين يدي ابنها الإلهيتين وحُمِلَت إلى المسكن السماوي، مصحوبة بإنشاد الملائكة العذب. وبعد ذلك، نقل الرسل جسدها الفائق النقاوة إلى جثسيماني حيث دُفن بشرف، وفي اليوم الثالث أُقيم وأُصعِد إلى الملكوت. ترَون هذا في أيقونة رقاد والدة الإله، إذ يظهر جسد والدة الإله الحامل الحياة ممدداً على نعش، محاطاً بالرسل ورؤساء الكنيسة، وفي وسط الأيقونة يظهر الرب حاملاً بين يديه روح والدة الإله الفائقة النقاوة. إن انتقال والدة الإله هو نموذج لانتقال أرواح المسيحيين إلى العالم الآخر بشكل عام.

نحن نقول إن موتانا قد"رقدوا" أو"انتقلوا". ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنه لا يوجد موت بالنسبة للمسيحي الحقيقي. غلب المسيح الموت على الصليب. لكنْ هناك انتقال، أي إعادة ترتيب لوضع الإنسان، أي أن روحه في مكان آخر، في زمن آخر ،في عالم آخر وراء القبر، أبديٍّ بلا نهاية، هذا هو المقصود بـ "الرقاد". يبدو الأمر كما لو كان حلماً مؤقتاً، وبعد ذلك، وبصوت الرب وبوق رئيس الملائكة الرهيب والرائع، يقوم جميع الأموات ويتقدّمون كل واحد إلى مكانه: إما إلى قيامة الحياة أو إلى قيامة الدينونة (يوحنا ٥:٢٩). هذا ما يعنيه المسيحي بالانتقال. يجب أن نكون مستعدين لهذا الانتقال، ليوم القيامة العامة والدينونة، لهذا الحَدَث الكوني الفائق الوصفِ، والمدوَّن في الكتاب المقدس.

هذا التحضير للقاء الملك السماوي أمام كرسي الدينونة المخيف، بعد الموت، هو في الأساس استعداد الشخص طوال حياته. هذا التحضير يعني التغيير في كل أفكاره، التغيير الأخلاقي لكل كيانه، بحيث يكون الإنسان كله نقياً وأبيض كالثلج، غاسلاً كل ما يفسد الجسد والروح، متزيّناً بكل فضيلة: التوبة والوداعة والتواضع واللطف والبساطة والعفة والرحمة والإمساك والتأمل الروحي والمحبة القوية لله والقريب.

إن استعدادنا للقاء الملك السماوي، وميراث الحياة الأبدية في السماء، يجب أن يقوم على هذه الأمور. يشتهي الملك السماوي نفوساً مزينة بفضيلة ثابتة، أرواحاً مهيأة ليقيم فيها الرب نفسه. لا تتعجبوا من أن الربَّ نفسَه يريد أن يسكن فينا. والحقيقة أن النفس البشرية هي أكثر اتساعاً من السماء والأرض، لأنها قائمة على صورة الله. وإذا أزال المرء الخطايا من الروح، فإن رب الكل يستقر فيها ويملؤها بنفسه. يقول الرب عن النفوس التي تحبه: "إِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا" (يوحنا ١٤:٢٣).

إذاً أيها المحتفلون بالأعياد المسيحية، ولا سيما العيد الحالي، عيد رقاد والدة الإله، يا مَن تزيَّنوا بإشراق بكل فضيلة وانتقلوا إلى الملكوت السماوي، إلى ابنها وإلهها، نادوا الجميع إلى تهيئةِ نفوسهم لتكون مسكناً للرب، نادوا بالتوبة المستمرة وزينة الفضيلة المسيحية التي لا تفسد. اعملوا على أن تكون أواخر حياتكم أيضاً سلامية بلا خزي وجواباً حسناً لدى منبر المسيح المرهوب. آمين.

Source: St. John of Kronstadt. Sermon on the Dormition of the Most Holy Theotokos. Orthochristian. 8/27/2012. https://orthochristian.com/55710.html

أسلحتنا ضد الخوف

القديس نيكولاس فيليميروفيتش
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

" فَتَعْمَلُونَ فَرَائِضِي وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَهَا لِتَسْكُنُوا عَلَى الأَرْضِ آمِنِينَ. وَتُعْطِي الأَرْضُ ثَمَرَهَا فَتَأْكُلُونَ لِلشِّبَعِ، وَتَسْكُنُونَ عَلَيْهَا آمِنِينَ." (لاويين ٢٥:١٨-١٩، أنظر أيضاً ٢٦:٥).

ما السبب الذي يجعل كل الناس يعيشون في خوف؟ ماذا يخافون على الأرض؟ مما يخاف الأفراد على الأرض؟

شعب يخاف شعباً ثانياً، وشعب غيره يرتعد أمام شعب غيره. إنسان يخاف من إنسان آخر. وشخص يرتجف أمام شخص آخر. جدنا جميعاً، آدم، كان يخاف الجنة. كان خوف الجنة يسيطر عليه، فكيف لنسله أن لا يكون مستحوذاً عليه الخوف، بعد أن نُفينا من الجنة.

عندما عصى آدم وزوجته وصية الله، عندما انتهكا ناموس الطاعة اختبئا عن وجه الله (تكوين ٣:٨). اختبئا بين أشجار الجنة، واختبئا في الغابة، تماماً كما تخفي النعامة رأسها في الرمال عندما تشعر أن صياداً يهددها.

قال آدم لله عندما سأله عن مكانه: "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ". وهذا ما يحدث لنسل آدم إلى اليوم. عندما يسمع الأطفال صوت آبائهم، يفرحون ويظهرون أمامهم. ولكن إذا كان قد فعلوا شيئاً قيل لهم ألا يفعلوه، فإنهم يختبئون بين الأثاث، أو في الغابة ويبحثون حتى عن أكثر الملاجئ عبثية هرباً من آبائهم. وعندما تظهر محبة والديهم بالسؤال: "أين أنت؟" لا يزال الأطفال الأشقياء يجيبون، حتى يومنا هذا، "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فَخَشِيتُ" ، تماماً كما فعل آدم مع الله.

عند هذه النقطة نتطرق إلى أساس الطبيعة البشرية والعلاقة بيننا وبين الله المخلِّص. فهذان الأمران مرتبطان. إنه لقاء محبة. الذين يحبون لا يخافون. المحبة الحقيقية تطرد الخوف.

انظروا إلى جميع جوانب الحياة، أنتم الذين ولدتهم الأرض، وستدركون مدى صحة هذه العبارة: المحبة الكاملة تطرد الخوف. عندما تكون المحبة حاضرة، لا يكون الخوف. عندما تغيب المحبة، يسيطر الخوف. من أين يأتي الخوف؟ من فقدان المحبة. مما تتكون المحبة؟ يجيب القديس يوحنا: "هُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا. وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ: إِنْ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ."(١ يو ٢:٢-٣).

بمجرد أن تُطاء وصية الله، تطير المحبة مثل الطائر من قلوب المذنبين ويحل محلها الخوف. لا يختلف الخوف عن العصيان والخطيئة والظلم.

فهل تفهمون الآن يا إخوتي، لماذا كان آدم خائفاً واختفى بسرعة، حتى لا يضطر إلى مواجهة الله؟ كان خائفاً لأنه كسر شريعة الله. هل تفهمون الآن لماذا يخاف الناس من غيرهم ويخشى الناس بعضهم؟

كما كان الأمر في ذلك الوقت، هكذا هو الآن. حيثما يكون عصيان وصايا الله، يكون الخوف هناك. والخوف يسلب قوتنا وكرامتنا. وهل هناك علاج لهذا الخوف بين الناس والشعوب؟ هناك الطبيب الأسمى. فهو مَن كتب وصفة الدواء في كل من العهدين القديم والجديد. وهذه هي الوصفة: "تَعْمَلُونَ فَرَائِضِي وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَهَا لِتَسْكُنُوا عَلَى الأَرْضِ آمِنِينَ" (لاويين ٢٥:١٨).

هكذا تكلم الله من الأعالي من خلال الأنبياء في العهد القديم. وفي العهد الجديد قال من خلال الرسل: " لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ" (١يوحنا ٤:١٨) "بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ: إِنْ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ" (١يوحنا ٢:٣).

أيها الناس وشعوب الأرض، إذا كنتم ترغبون في العيش بسلام في دياركم، دون خوف، فتسلحوا بالسلاح الذي ذكرناه: المحبة.

Source: Άγιος Νικόλαος Βελιμίροβιτς. Τὰ ὅπλα μας ἐνάντια στὸν φόβο. Αγια Ζωνη. Ἐκκλησιαστικό Ἦθος. 18/07/2022. https://agiazoni.gr/τὰ-ὅπλα-μας-ἐνάντια-στὸν-φόβο/

التعليم الديني المطوّل - ٦
لكنيسة الله الشرقية الأرثوذكسية الجامعة
المعروف أيضاً بتعليم القديس فيلاريت درودزوف موسكو
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

هذا التعليم راجعه وأقرّه المجمع المقدس (الروسي) ونشره لينتمّ استعماله للتعليم في المدارس كما ولكل المسيحيين الأرثوذكسيين (موسكو، المطبعة المجمعية، ١٨٣٠)

في البند الرابع

١٩٩. كيف حدث أن يسوع المسيح قد صُلب، بينما كان المفترَض أن تدفع عقيدته وأعماله الجميعَ إلى توقيره؟

كان شيوخ اليهود والكتبة يكرهونه، لأنه وبّخ تعاليمهم الباطلة وأرواحهم الشريرة، وكانوا يحسدونه لأن الناس الذين سمعوه يعلِّم ورأوا معجزاته كانوا يحترمونه أكثر منهم. ولذلك اتهموه زوراً وحكموا عليه بالموت.

٢٠٠. لماذا يُقال أن يسوع المسيح صلب على عهد بيلاطس البنطي؟

لتحديد الزمن الذي صُلب فيه.

٢٠١. من هو بيلاطس البنطي؟

الحاكم الروماني في اليهودية التي كانت خاضعة للرومان.

٢٠٢. لماذا هذا الزمن جدير بالملاحظة؟

لأننا فيها نرى إتمام نبوة يعقوب: "لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ" (تكوين ٤٩:١٠).

٢٠٣. لماذا لا يُذكر في قانون الإيمان أن يسوع المسيح قد صلب وحسب، بل يُضاف أيضاً أنه تألّم؟

لإثبات أن صلبه لم يكن مجرد مظهر من مظاهر المعاناة والموت، كما قال بعض الهراطقة، بل كان معاناة وموتاً حقيقيين.

٢٠٤. لماذا يرد أيضاً أنه دفن؟

وهذا أيضاً يؤكّد لنا أنه مات حقاً وقام؛ حتى أن أعداءه جعلوا على قبره حراساً وختموه.

٢٠٥. كيف يمكن أن يتألم يسوع المسيح ويموت وهو الله؟

تألم ومات لا في لاهوته بل في ناسوته. وهذا ليس لأنه لم يستطع تجنبه، بل لأنه ارتضى أن يتألم.
لقد قال هو نفسه: "لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضاً. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً" (يوحنا ١٠:١٧-١٨)

٢٠٦. بأي معنى يُقال أن يسوع المسيح قد صلب من أجلنا؟

بهذا المعنى: أنه بموته على الصليب خلّصنا من الخطيئة واللعنة والموت.

٢٠٧. كيف يتكلم الكتاب المقدس عن هذا الخلاص؟

الخلاص من الخطيئة: "الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ". (أفسس ١:٧).
النجاة من اللعنة: "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا" (غلاطية ٣:١٣)
الخلاص من الموت: " فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيين ٢:١٤-١٥).

٢٠٨. كيف ينقذنا موت يسوع المسيح على الصليب من الخطيئة واللعنة والموت؟

لكي نؤمِن بهذا السر بسهولة أكبر، تعلّمنا كلمة الله عنه، بقدر ما يمكننا أن نتلقّى، من خلال مقارنة يسوع المسيح بآدم. آدم بطبيعته رأس البشرية جمعاء، وهو واحد معه عن طريق النسب الطبيعي منه. يسوع المسيح، الذي فيه يتّحد اللاهوت بالبشرية، جعل نفسه بتعطف رأس الناس القدير الجديد، الذين يوحدهم بنفسه بالإيمان. لذلك كما في آدم وقعنا تحت الخطيئة واللعنة والموت، هكذا نتحرر من الخطيئة واللعنة والموت بيسوع المسيح. إن آلامه الطوعية وموته على الصليب بالنسبة لنا، لكونها ذات قيمة وفَضل غير محدودين، كموت شخص بلا خطيئة، الله وإنسان في شخص واحد، هو إتمام كامل لعدالة الله، التي حكمت علينا بالخطيئة. الموت، ومبلغ فضيلة لامحدود أكسبه الحق، دون المساس بالعدالة، في منحنا نحن الخطأة عفواً عن خطايانا ونعمةً للتغلب على الخطيئة والموت.

"الآنَ قَدْ أُظْهِرَ لِقِدِّيسِيهِ، الَّذِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ" (كولوسي ١:٢٦-٢٧). "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ!" (رومية ٥:١٧). " إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ. لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ" (رومية ٨:١-٤).

٢٠٩- هل تألم يسوع المسيح من أجلنا جميعاً، بالمعنى الدقيق للكلمة؟

من جانبه، قدم نفسه ذبيحة حصرية للجميع، وجلب للجميع نعمة وخلاصاً؛ لكن هذا يفيد فقط الذين من بيننا، بمحض إرادتهم، عرفوه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهين بموته (أنظر فيليبي ٣:١٠).

٢١٠. كيف يكون لنا شركة في آلام يسوع المسيح وموته؟

لدينا شركة في آلام وموت يسوع المسيح من خلال الإيمان الحي الصادق، من خلال الأسرار المقدسة، التي بها تُحتوى وتُختَم فضيلة آلامه الخلاصية وموته، وأخيراً من خلال صلب جسدنا وأهوائه وشهواته.

"لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا للهِ. مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غلاطية ٢:١٩-٢٠). "أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ" (رومية ٦:٣). "فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ" (١كورنثوس ١١:٢٦). "وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ" (غلاطية٥:٢٤).

٢١١. كيف نصلب الجسد مع الأهواء والشهوات؟

بلجم الأهواء والشهوات، وبعمل ما يخالفها. على سبيل المثال، عندما يدفعنا الغضب إلى شتم العدو وإيذائه، لكننا نقاوم هذه الرغبة، ونتذكّر كيف صلّى يسوع المسيح على الصليب لأعدائه، نصلّي بالمثل من أجل أعدائنا؛ هكذا نصلب شهوة الغضب.

في البند الخامس

٢١٢- ما هو أول دليل صريح قدمه يسوع المسيح على أن آلامه وموته صنعت خلاصنا نحن البشر؟

هذا: أنه قام، وبها أرسى الأساس لقيامتنا المماثلة المباركة. "الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ" (١كورنثوس ١٥:٢٠).

٢١٣. كيف نرى الحالة التي كان فيها يسوع المسيح بعد موته وقبل قيامته؟

هذه الحالة موصوفة في ترنيمة الكنيسة التالية: "لقد كنتَ في القبر بالجسد وفي الجحيم بالروح بما أنك إله، في الفردوس مع اللص، وعلى العرش مع الآب والروح أيها المسيح مالئاً الكلّ أيها المنزّه عن أن يكون محصوراً".

٢١٤. ما هو الجحيم أو النار؟

الجحيم كلمة يونانية، وتعني مكاناً خالياً من النور. في اللاهوت، يُفهم بهذا الاسم سجناً روحياً، أي حالة الأرواح التي تفصلها الخطيئة عن وجه الله، وعن النور والبركة التي يمنحهما. (أنظر يهوذا ٦:١).

٢١٥. لماذا نزل يسوع المسيح إلى الجحيم؟

بهدف أن يكرز هناك أيضاً بانتصاره على الموت، ويخلص النفوس التي انتظرت مجيئه بالإيمان.

٢١٦. هل يشير الكتاب المقدس إلى هذا؟

يُشار إليه في المقطع التالي: "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ" (١بطرس ٣:١٨-١٩).

٢١٧- ما الذي يمكننا ملاحظته على كلمات دستور الإيمان التالية: وقام في اليوم الثالث، على ما في الكتب؟

تم وضع هذه الكلمات في قانون الإيمان من الفقرة التالية من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: "فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (١٥:٣-٤)

٢١٨. ما القوة الكامنة في عبارة "حسب الكتب"؟

بهذا يتبين أن يسوع المسيح مات وقام، بالضبط كما هو مكتوب عنه نبوياً في كتب العهد القديم.

٢١٩- أين، على سبيل المثال، يوجد شيء مكتوب عن هذا؟

في الإصحاح الثالث والخمسين من سفر النبي إشعياء، على سبيل المثال، تُصوّر معاناة يسوع المسيح وموته بتفاصيل كثيرة: "هُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (إشعياء ٥٣:٥).

وعن قيامة المسيح يستشهد الرسول بطرس بكلمات المزمور السادس عشر: "لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا" (أعمال ٢:٢٧).

٢٢٠. هل هذا أيضاً في الكتاب المقدس في العهد القديم، أن يسوع المسيح يجب أن يقوم على وجه التحديد في اليوم الثالث؟

قد ورد هذا عند النبي يونان نبوياً: "وكان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال" (يونان ١:١٧).

٢٢١. كيف عُرف أن يسوع المسيح قد قام؟

عرف الجنود الذين شاهدوا قبره ذلك بخوف، لأن ملاك الرب دحرج الحجر الذي أغلق قبره، وفي نفس الوقت كان هناك زلزال كبير. وبالمثل، أعلن الملائكة قيامة المسيح لمريم المجدلية وبعض الآخرين. ظهر يسوع المسيح نفسه للكثيرين في يوم قيامته: للنسوة اللائي حملن الحنوط، لبطرس، والتلميذين المتجهين إلى عمواس، وأخيراً لجميع الرسل في المنزل والأبواب مغلقة. بعد ذلك أظهر نفسه لهم في كثير من الأحيان خلال أربعين يوماً. وفي أحد الأيام شاهده أكثر من خمسمائة مؤمن دفعة واحدة. (١ كورنثوس ١٥:٦).

٢٢٢. لماذا أظهر يسوع المسيح نفسه بعد قيامته للرسل لمدة أربعين يوماً؟

خلال هذا الوقت استمر في تعليمهم أسرار ملكوت الله (أعمال ١:٣)

في البند السادس

٢٢٣. هل ذِكر صعود ربنا في البند السادس من دستور الإيمان مأخوذ من الكتاب المقدس؟

إنه مأخوذ من المقاطع التالية من الكتاب المقدس: "اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ" (أفسس ٤:١٠)"أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هذَا، قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ" (عبرانيين ٨:١).

٢٢٤. هل صعد يسوع المسيح إلى السماء بلاهوته أو ناسوته؟

بناسوته، فهو في لاهوته كان ولا يزال في السماء.

٢٢٥. كيف يجلس يسوع المسيح عن يمين الله الآب والله في كل مكان؟

يجب أن يُفهم هذا روحياً؛ أي أن يسوع المسيح له نفس عظمة ومجد الله الآب.

في البند السابع

٢٢٦. كيف يتكلم الكتاب المقدس عن مجيء المسيح ثانية؟

"إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ" (أعمال ١:١١)، هذا ما قالته الملائكة للرسل في وقت صعود ربنا.

٢٢٧. كيف يتحدث عن دينونته المستقبلية؟

"تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ" (يوحنا ٥:٢٨-٢٩). هذه هي كلمات المسيح نفسه.

٢٢٨. كيف يتكلم عن ملكه التي لا نهاية له؟

"هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ" (لوقا ١:٣٢-٣٣). هذه هي كلمات الملاك لوالدة الله.

٢٢٩. هل سيكون المجيء الثاني للمسيح مثل الأول؟

لا، سيكون مختلفاً جداً. لقد جاء أولاً ليتألم من أجلنا بتواضع كبير، لكنه سيأتي ثانيةً ليدينا بمجده ومعه جميع الملائكة القديسين. (انظر متى ٢٥:٣١).

٢٣٠. هل سيدين كل البشر؟

نعم. الكل بلا استثناء.

٢٣١. كيف سيحكم عليهم؟

سوف يكون ضمير كل إنسان مفتوحاً أمام الجميع، ولن تنكشف جميع الأعمال التي قام بها طوال حياته على الأرض وحسب، بل أيضًا كل الكلمات التي قالها، وكل شهواته وأفكاره السرية. "يَأْتِي الرَّبُّ الَّذِي سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلاَمِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللهِ" (١كورنثوس ٤:٥).

٢٣٢. هل يديننا إذن حتى على الكلمات أو الأفكار الشريرة؟

بلا شك سيفعل ما لم نمحُها بالتوبة والإيمان وتغيير الحياة. "وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ" (متى ١٢:٣٦).

٢٣٣. هل سيأتي يسوع المسيح للدينونة سريعاً؟

لا نعلم. لذلك يجب أن نعيش مستعدين دائماً. "لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ. وَلكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ" (٢بطرس ٣:٩-١٠). "فَاسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ" (متى ٢٥:١٣).

٢٣٤. أليست هناك، مع ذلك، بعض علامات اقتراب مجيء المسيح؟

في كلمة الله تمّ الكشف عن بعض العلامات، كمثل نقص الإيمان والمحبة بين الناس وكثرة الإثم والمصائب، والكرازة بالإنجيل لجميع الأمم، ومجيء ضد المسيح (متى ٢٤).

٢٣٥. ما هو ضد المسيح؟

إنه عدو المسيح، يسعى جاهداً لقلب المسيحية، ولكن بدلاً من تحقيق ذلك سينتهي هو نفسه نهايةً رهيبة (انظر ٢ تسالونيكي ٢:٨).

٢٣٦. ما هو ملكوت المسيح؟

ملكوت المسيح هو أولاً العالم كله. ثانياً، جميع المؤمنين على الأرض. ثالثاً، كل الأبرار في السماء.

الأول يسمى مملكة الطبيعة. الثاني ملكوت النعمة. الثالث ملكوت المجد.

٢٣٧. أي من هذه نعني بقولنا يقال في دستور الإيمان "لا فناء لملكه"؟

ملكوت المجد.

الشيخ صُفروني وآخرون ممَّن كانوا كاملين في المسيح. أسئلة وأجوبة

المطران أثناسيوس متروبوليت ليماسول
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

يشاركُ المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول) ذكريات لقائِه بالشيخ (القديس) صُفروني (ساخاروف)، ونصائحَ القديسِ حول مسائلِ الاعترافِ والتواضعِ وتجاهلِ الإنسان لأفكارِه

أن تكون شخصاً مُعقداً هو تعذيب

سؤال: كيف يمكن للمرء تعلُّم البساطة؟

جواب: إنَّه سؤالٌ جيد، ولكنْ من الصعبِ وضعُ الإجابةِ موضعَ التطبيق. ليس لأن الأمرَ صعبٌ، بل لأننا ولسوء الحظِّ أناسٌ معقدون، وخصوصاً أولئك الأصغر سِنّاً. التعقيد عذاب، أن تكون شخصاً مُعقداً هو تعذيب. ينتجُ التعقيد أيضاً عن البيئةِ التي نشأنا فيها وطريقةِ التفكير التي اعتدناها. وينتج كذلك عن عيشنا بعيداً عن النعمة الإلهية. الإنسانُ البسيط حلاوةٌ مُطلقة! إنه ممتلئ بالنعمة. رؤيتُه تجلبُ الفرح، لذلك فجُلُّ ما تريدُه هو أن تكون بقربه. إنسانٌ كهذا طيبُ القلبِ وحر؛ تشعرُ بجوارِهِ بالراحةِ والسلامِ. الإنسان المُعقد غير سعيدٍ ومُرهَق، يُتعِبُك، ودائماً ما تَتعَبُ منه.

كيف تقتني البساطة؟ أسهل طريقة هي البقاء بقرب أناسٍ بسطاء. البسطاءُ يُعلِّمون البساطة. إذا وُجِدَ مثلُ هؤلاءِ الأشخاصِ حولنا، كجدَّينا أو أناسٍ آخرين بسطاء، فلنعِشْ بالقربِ منهم ونُراقبْ كيف يفكرون ويتصرفون. فلنحاولْ أن نقتدي بهم، وبالتالي أن نتعلم أن نكون

يمكننا أيضاً اكتسابُ البساطةِ بوسائلَ روحية؛ بتنقيةِ نفوسِنا من الأهواء. إذا اجتَنَبْنا الأهواءَ والخطايا وتُبنا عنها ونُحْنا بمرارة، فإن نَوْحَنا هذا، إضافةً إلى حفظِ الوصايا المقدسة، والابتعادِ عن المعرفة العالمية الخاطئة، وعدمِ الرغبة في التّساهلِ مع الأفكار الخاطئة والتحوّلِ إلى أناسٍ أشرار، وقراءةِ ودراسةِ الكتب المقدسة وسيَرِ القديسين، كل هذا سيُساعدنا في بلوغ البساطةِ المباركة. تُمنَحُ البساطة المباركة كعطية من الروح القدس للإنسان الذي ينمّي الصلاة، ويعيش في الأسرار المقدسة ومن خلالها، ويحفظ ذهنه نقياً، ممتنعاً عن طريقة التفكير العالمية.

الشيخ صُفروني:كان إنساناً كاملاً في المسيح

حدث ذلك في الشتاء، مباشرة قبل عيد الميلاد بحسب التقويم اليولياني، حوالى عام ١٩٧٠. كنت قد قرأت كتاب القديس صُفروني (إسكس) "معاينة الله كما هو". كان الكتابُ يعودُ للشيخ ديونيسيوس الديونيسياتي، وهو إنسانٌ روحي وقديس، وكان يعيش ليس بعيداً عن الشيخ صُفروني. أخذت الكتاب منه وأعطيته لشيخنا يوسف (فاتوبيذي) وقرأناه سوية. حين انتهينا من قراءته قال الشيخ يوسف: "إنه قديس عظيم!". لقد أُعجبَ بالعُمق البالغ لقصصه اللاهوتية، الروحية ولكن غير الأكاديمية، وبخبرة القديس صُفروني التي لا تُصدَّق. قلتُ له، مُستغلاً هذه الحالة من 'السمو الروحي': "أيها الشيخ، لمَ لا نذهب ونأخذ بركة من الشيخ صُفروني ما دام حياً؟" أجاب الشيخ يوسف: "حسناً، ولكن كيف سنصل إلى إنكلترا؟ أتظن الأمر بهذه السهولة يا بني؟" اقترحتُ قائلاً: "أعطني بركتك وسأتدبر الأمر". وافَق الشيخ. كنت حينها أصغر سنّاً وأكثر حيويةً مما أنا عليه اليوم، لذا رتَّبتُ الرحلة إلى إنكلترا. وهكذا قمنا أنا والشيخ يوسف برحلة قصيرة إلى إنكلترا، بالترتيب مع أحد أصدقائنا، للقاء الشيخ صُفروني.

ذهبنا مباشرةً من المطار إلى الدير ووصلنا هناك مساءً حوالى الساعة الحادية عشرة. كان البرد شديداً، وكان القديس صُفروني بانتظارنا عند البوابة، بجوار سياج الدير. انتظرَنا هناك في هذا البرد القارس مع بعض الإخوة الآخرين. حالما نزل الشيخ يوسف من سيارة الأجرة، بدأ الشيخ صُفروني بالانحناء. كان

يرسم صليبه وينحنى. كان ينحنى إلى الأسفل قدر استطاعته، فقد كان متقدماً فى العمر. شعرنا بالغرابة. عانَقَنا وقبَّلَنا وقال: "أهلاً بكم فى إنكلترا! فلنذهبْ إلى الكنيسة ونصلِّ." ذهبنا إلى الكنيسة وصلينا. قد ذكر أسماءنا بطريقةٍ مؤثّرة للغاية. بقينا فى الدير ليومين وليلتين. خلال هذا الوقتِ كانت لنا لقاءات وأحاديث مع الشيخ صُفرونى. شاركَنا ذكرياته عن الجبل المقدس، وعن الشيخ يوسف الهدوئى والقديس سلوان، وتحدث عن خبرته فى الاشتراك بخدمة بالقداس الإلهى معه. أجرينا محادثاتٍ حول مواضيع روحية شتى. ما أثّر فينا بشدة هو إدراكنا للشيخ صُفرونى. كان إنساناً كاملاً فى المسيح. قال عنه الشيخ يوسف: "إذا رغبْتَ فى رؤية إنسانٍ كامل، فانظر إلى هذا الشيخ. إذا أردْتَ أن تعرف كيف يحوّلُ الإنجيلُ الإنسان، فانظرْ إليه، فهو بالتأكيد إنسان كامل فى المسيح". هذا كان انطباعنا. فيما بعد، باركَنا الشيخ صُفرونى بكل صلاحه، روحياً وإنسانياً، متحدثاً إلينا بكل جدية ومهابة، مرحباً بنا بكل تواضع ومحبة. ستبقى صورة قداسته دائماً معنا.

ماذا أفعل حيالَ فاعل الشر؟

سؤال: إذا كان أحدٌ ما يُهينني باستمرار، فما هي الطريقة المسيحية الملائمة للرد؟

جواب: إن الخِصلةَ المُميِّزة للمسيحي هي التواضع. إذا تواضَعنا فإننا سنستفيد كثيراً. لذلك فإن مَن يجعلنا نتواضع يُحسنُ إلينا. ولكنْ، علينا أيضاً استخدام المنطق. على سبيل المثال، المُعلم أو أحد الأهل،أيْ شخصٌ عليه تربية أولاد، قد يتواضع حين لا يطيعه الأولاد ويسيؤون التصرف، ولكن ذلك يضرُّ بالأطفال أنفسهم. فلمصلحتهم، علينا أن نعيدهم إلى رُشدِهم بطرقٍ تعليمية محددة. في هذه الحالة، لا يمكننا ببساطة أن نقول 'بتواضع': "لا بأس، فليتحوّل الصف أو الغُرفة إلى 'إسطبلات قذرة'، فيتحول كل شيء إلى فوضى تامة، ذلك ضروري لتواضعي!". هذا خطأ! لن يُجدي ذلك نفعاً حين تسمح للأطفال المشاغبين بالاستمرار في التسبب بالأذية. إذا أحزنَنا أخٌ ما أو أهانَنا بسبب جنوحه السيئ، فلا يمكننا فعل شيء حيال ذلك، وعلينا تحمل الأمرِ والصلاة. ذلك سيساعدُنا روحياً. ولكنْ، إذا كنا مسؤولين عن هذا الأخ، إذا كنا معلمين أو والدين أو أرباب عمل، عندها علينا بالطبع، باستخدام المنطق، أن نرتب الأمور بهدوء لكي يُنجَزَ العمل الذي ينبغي القيام به، وأيضاً أن لا نؤذي أخانا. إذْ في النهاية، الأخ الذي يسيء التصرف تجاهنا هو من ينتهي به الأمر في طريق الأذية.

أفضلُ طريقةٍ للتحكمِ بأفكارِنا هو تجاهلُها

سؤال: كيف يمكننا أن نُميِّز أفكارنا؟

جواب: تنشأ الأفكار من ثلاثة مصادر: الله، والشيطان، والإنسان. تنبع الأفكار الصالحة والمقدسة من الله؛ تجلب هذه الأفكار الفرح والسلام إلى قلب الإنسان. تأتي الأفكار الشريرة من الشيطان، وتجلب التشوُّش والظُلمة وعدم التقوى والشر. تبرز الأفكار البشرية من الإنسان وما يحيط به، لكنْ بما أننا، ويالالأسف، مغلوبون من الأهواء، فإننا غالباً ما نُنتِج أفكاراً شريرة. ما الذي يقوله لنا الفكر؟ أهو أمرٌ صالح؟ إذا كان يخبرُ بأمورٍ صالحةٍ متناغمةٍ مع وصايا الله والإنجيل المقدس، فعلينا الإبقاء على هذا الفكر. إذا كان الفكر يقول لنا أموراً معاكسة لناموس الله والإنجيل المقدس، فعلينا تجاهله.

كيف نوجِّه أفكارَنا؟ ينصحنا الآباء القديسون بممارسة التَّجاهل. أفضل طريقة للتعامل مع الأفكار هو تجاهلها وعدم أخذها بعين الاعتبار. إذا رأيتَ أنَّ لديك فكراً شريراً وأنَّه يزعجك ويشوِّشُك، وأنَّ ذهنَك يُظلِم [بفِعلِه]، أو أنَّ الفكرَ يُسبب لك الغم، اطردْه ولا تتشبَّث به. لا تُعلِّق عليه أيَّة أهمية. لا تشغل فكرك به. وإلا فإنك ستضيِّع الوقت والمزاج والقوة.

إن توجيه المرءِ لأفكاره لَهوَ حقاً مسألةُ معرفةٍ روحيةٍ متقدمة. تجاهلُ الأفكار هو العلاجُ الأكثرُ فعالية. إذا لم تتعلمْ تجاهُلَ أفكارِك فسوف تعاني طيلة الوقت.

الكبرياء واليأس وجهان لعملة واحدة

أظنُّ، وهكذا يعلمنا الآباء القديسون، أن هذين الاثنين وجهان لعملة واحدة اسمها محبة الذات. يظن المغرور أنه هو، ولا أحد غيره، قديس وملاكٌ لا يخطئ أبداً. فيما هو في الواقع غير مثالي ويخطئ تماماً مثل أي شخصٍ آخر، وهو أكثر شخصٍ عادي، ولكنه يقع في اليأس بسبب غروره. ليس اليأس جيداً. إنه تعبير عن الأنانية. الشخص المتواضع، حتى وإن ارتكب خطيئة، فإنه سيقول: "حسناً، لا بأس، أنا إنسانٌ في النهاية!". يتوب عن خطيئته، يتواضع، يعترف، يجاهد وينهض مجدداً. يلتمس من الله أن يُعينَه وألا يقع في اليأس.

اليأس سقطة عظيمة وخطيئة كبيرة. الإنسان المتواضع لا يفقد الشجاعة، يثق بالرب، يسأله مغفرة خطيئته، ويستمطر نعمته. يكمنُ خلاصنا في التواضع. أما الإنسان المتكبر فيخلق صورة ذاتية مغلوطة في ذهنه، وحين يتضح أنَّ كل شيء في الواقع ليس كما يظن، ييأس ويفقد أي رغبة في المبادرة. لهذا فاليأس والكبرياء وجهان لعملة واحدة.

كيف نعترف بشكل ملائم؟

يشبه الاعتراف حمَّاماً روحياً يطهّرنا من خطايانا. من الضروري عند الاعتراف أن نحدد خطايانا و ذنوبنا بدقة، ولكن أن نتركَ التفاصيل. ينبغي ألا نصِفَ [الخطايا]، ولا سيما الخطايا الجسدية، بتفصيلٍ كبير، بل بالأحرى أن نذكرها بمصطلحات محددة، بالاسم، لكي يتمكن أبونا المعرّف من تحديد مرضنا الروحي وتقديم دواءٍ روحي ملائمٍ سيعود علينا بالنفع. علينا أن نعترف بقلبٍ منسحق. أما بالنسبة للشعور بالخجل، فإنها مسألة تواضعٍ وتوبة.

التواضع يحفظ كنز الروح

سؤال: يخبرنا إنجيل متى كيف أن المسيح شفى الأبرص وقال: "انظر ألا تخبر أحداً"، فلمَ هذا؟ أجرى الرب هذه العجائب، لا من أجل هؤلاء الأشخاصِ فقط، بل من أجل آخرين كثرٍ أيضاً!

جواب: ما فعله الرب، قد فعله من أجلنا، مريداً أن يرينا طريق الخلاص. هو نفسُه لم يكن بحاجةٍ لذلك، فهو إله تام وإنسان تام معاً. أظهر لنا نموذجاً للتصرف: علينا أن نحيا بتواضع، في الخفاء، ناسبين المجد لا لأنفُسِنا، بل للإله الواحد وأبينا.

هناك حالات قال فيها المسيح: اذهب وأخبر الجميع، وحالات أخرى قال فيها: لا تخبر أحداً. كان كل شيء معتمداً على الحالة الروحية للشخص الذي شفى وشهد الأعجوبة. ونحن أيضاً غالباً ما ننصح الآخرين قائلين: لا تخبر أحداً بما رأيتَ وما جرى لك للتو. لأنه بمجرد أن تشاركه مع الآخرين، فإنك ستضرُّ نفسك. لن تتمكن من استخدام هذه المعرفة بحكمة، بل عوض ذلك ستتفاخر بكبرياء وغرور. الأهم أن يُقادَ كل شيء بالتواضع. التواضع يحفظ كنز الروح.

لو عشنا في أيام المسيح...

أتذكر كيف كنا نتحدث إلى شيخنا الدائم الذكر الأب يوسف في إسقيطنا. قلنا: "أيها الشيخ، كم كان حسناً لو عِشنا في زمن المسيح! لكُنّا رأينا المسيح! لكُنا شهوداً لحياته الأرضية"، قال ذلك أحدُ الإخوة ممتلئاً بالمحبة والمهابة. أجاب الشيخ: "يا لها من رحمةٍ أيها الإخوة أننا لا نعيش في تلك الأيام. وخصوصاً أنا، إذْ إني واثق بأني لو عشت في أيام المسيح لكنت أحد أولئك الذين صلبوه وجلدوه وأنكروه. ما زلت أجلد المسيح يومياً بخطاياي وأصلبه. أهينه كل يومٍ بحياتي الخاطئة. لو عشتُ حينها لكان الأمر أسوأ". امتلك القديسون تواضعاً عظيماً! لم يتّكلوا على أنفسهم.

الأب باييسيوس الديونيسياتى (من دير ديونيسيو): "أمُّ " المسيح

إنسانٌ بحياةٍ داخليةٍ عميقة. عاش فى دير ديونيسيو. قبرصى، نشأ فى جنوب أفريقيا وسكنَ فى إنكلترا. كان ناجحاً جداً فى تطلُّعاته الاقتصادية والتجارية. فى مرحلةٍ ما، التقى بالقديس صُفرونى (إسكس) وعاد إلى الله. وصل إلى دير ديونيسيو فى جبل آثوس وأصبح راهباً. عاش هناك فى نسكٍ صارم. كانت حياة هذا الراهب مثالاً ممتازاً للرهبنة: ورع، غير محب للظهور، متواضع، مُفعَم بالطاعة ومتكتم بحق. لم يذهب قط إلى أي مكانٍ ولم يدر أحدٌ به. مُنِحَ العديد من مواهب الروح القدس. كان رجل صلاةٍ غير منقطعة، رجلَ محبة كبيرة، رجلاً مستنيراً من الرب الذي كشف له إرادته الكلية القداسة حول الناس الذين رأوه.

حين أتيت أول مرة إلى دير ديونيسيو فى وقتٍ ما فى تشرين الأول أو الثانى من عام ١٩٧٦، كانت تتنازعنى أفكارٌ عديدة حول ما إذا كان على البقاء فى الجبل المقدس أم لا. فى إحدى المرات، مشيت مساءً من دير القديس بولس إلى ديونيسيو، حيث كانوا يقيمون خدمة المديح هناك. جلست فى الكنيسة الصغيرة الجانبية. لم أكن أعرف أحداً (إذ كنت طالباً فى الثامنة عشرة من عمري)، وبالتأكيد لم يكن أحدٌ يعرفنى أيضاً. لذا جلست هناك فى مقعد جانبى، فى الكنيسة الجانبية لمديح والدة الإله الفائقة القداسة، أتفكَّر فى حياتى وأراقبُ شيوخ دير ديونيسيو؛ هم أيضاً غرقوا فى مقاعدهم مستغرقين فى ظلمة الكاتدرائية يقرؤون المديح بكل بساطة وتواضع وصمت... استولى علىَّ اليأس والإحباط، فجلست هناك تتقاذفنى الأفكار: ما الذي أفعله فى هذا الجبل المقدس؟ كل ما لديهم هم هؤلاء الرهبان المسنون. يبدون كجثث حية. سأغادر هذا المكان فى الحال. راودنى إحساسٌ بأنى كنت أزور مملكة الموت فى هذا الدير. وفور تفكيري بذلك، أتى إلىَّ راهبٌ -كان يشعل مصابيح الزيت فى الكاتدرائية- وقال: "لا يجب أن تفكر بهذه الطريقة! ليس الرهبان الذين تراهم أمواتاً. هم ليسوا كذلك. هؤلاء الآباء ممتلؤون بالحياة؛ الحياة فى المسيح. لكنْ حين يحيا الإنسان فى المسيح فهذه هى الحياة الحقة". شكرته ولم أقل شيئاً آخر. لم أكن أعرفه، ولا كنت أعرف أحداً آخر هناك. ومع ذلك، حالما غادرت، أدركت أن ذلك كان جواباً لأفكاري.

قابلت هذا الراهب مجدداً فيما بعد. كان اسمه الأب باييسيوس. حافظ على الترتيب فى الكنيسة، وبما أنه كان قبرصياً أيضاً، فقد تعرفنا على بعضنا البعض وأصبحنا أصدقاء. مرةً قال عنه الشيخ جبرائيل من دير ديونيسيو: "يشبه هذا الراهب ذاك الذي وصفه القديس سمعان اللاهوتى الجديد قائلاً: إنه شبيه بـ 'أم' المسيح". سألت: "ماذا يعنى ذلك: 'أمُّ المسيح؟" أجاب الشيخ: "كالأمِّ التى تحمل طفلاً فى رحمها، تحسّ به تلده وتصبح أمه، كذلك هو الإنسان الذي يجاهد فى المسيح. 'يحمل' المسيح في كيانه، في قلبه، ويصير رجلاً حاملاً الله. هذا الراهب 'أمٌّ للمسيح، لأنه يحمل المسيح فى قلبه".

بالطبع، بقيت فى الجبل المقدس. كما أننى كثيراً ما زرت دير ديونيسيو. أجرينا محادثاتٍ مع هذا الشيخ القديس الممتلئ بالحلاوة والتواضع والمحبة والطاعة. دائماً ما أراحنا بمظهره وكلماته اللطيفة المعزّية.

رجل صلاةٍ غير منقطعة، نال بركة الدير فى نهاية حياته وذهب إلى البرية إلى قلاية القديس يعقوب النائية ماكثاً هناك حتى نهاية حياته تقريباً، متمتعاً بحياة العزلة في صمت وصلاة.

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol. Elder Sophrony and Others Who Were Perfect in Christ. Questions and Answers. Translation from the Russian version by Liubov Ambrose. OrthoChristian. 7/14/2022. https://orthochristian.com/147202.html

يوحنا المعمدان

أنتوني بلوم مطران سوروج
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كان يوحنا المعمدان سابق المسيح. هو الذي أتى قبله ليسهّل طريقه، ليجعل الطريق المعوج مستقيماً. أعتقد أن هذا هو بالضبط ما نحن مدعوون للقيام به الآن فيما يتعلق بالآخرين، لنجعل الأمر سَلِسًا لهم لإيجاد طريقهم، ولمساعدتهم على إيجاد طريق مستقيم إلى الرب.

أود أن أُفرِدَ عدداً من سِمات شخص القديس يوحنا المعمدان التي أشعر أنها يمكن أن تعلّمنا شيئاً عن وضعنا، وما يجب أن نفعله، وما هو التوجّه الفكري الذي يجب أن نكون فيه.

بادئ ذي بدء، عندما تفتح إنجيل القديس مرقس، تجد أنه [يوحنا المعمدان] يُعرَّف بصوتٍ يصرخ في البرية. لا يُعرَّف حتى على أنه نبي أو رسولٌ للّه. إنه يتماهى مع الرسالة، ويصبح متحداً جداً بكلمة الله، التي يجب عليه أن يعلنها وينقلها إلى الناس، بحيث لم يعد ممكناً رؤيته خلف الرسالة ولا سماع صوته وراء الشهادة الرعدية لروح الله متكلماً من خلاله. هذا شيء يجب أن نتعلمه. في كثير من الأحيان عندما نأتي برسالة، يمكن للناس إدراكنا نحن وربما إدراكُ رسالةٍ تأتي من خلالنا، لأننا لا نتماهى بشكل كافٍ مع ما يجب أن نقوله.

لكي نكون أصحاب هوية، يجب أن نقرأ الإنجيل، ونجعله إلى حد كبير جزءاً من ذواتنا ونجعل أنفسنا قدر الإمكان من الإنجيل. بحيث أنّنا عندما نتكلّم من بَيْنَ ثَنايَاه، باسمه، مهما كانت الكلمات التي نستخدمها، ولا أعني الآيات التي نقتبسها منه، يجب أن يكون ببساطةٍ هو (الإنجيل) الذي يتحدث ويجب أن نكون مثل الصوت، صوت الله.

الأمر الثاني هو أنه، لبلوغ تلك الحالة التي يمكن أن يتكلّم فيها ولا يمكن ملاحظته، حيث يصير الناس جميعاً قادرين على إدراكه كإنسان، تحوّلَ يوحنا تماماً إلى رسالة، إلى رؤية، إلى إعلان، يعني أنه كان إنساناً ارتضى أن يزيح كل ما هو أناني، استئثاري، يفرح بأنانية بكل ما يريد أن يتملّكه. كان له قلب نقي، وعقل صافٍ، وإرادة لا تتزعزع، وجسد مهذّب، وضبط تام للذات، حتى عندما تأتي الرسالة لا يهزمه الخوف فيجعله صامتاً؛ لا تغريه الوعود ولا تسكته، وببساطة، لا كثافة الجسد ولا غلاظة العقل ولا ثقل القلب ينبغي أن تتغلّب على لطافة الروح وقوتها المضيئة. هذا أمر مطلوب منّا أيضاً.

أنا لا أتحدث الآن عن أشكال النسك أو الطريقة التي يمارسه بها الإنسان، لكن يجب أن نتعلّم أن نكون أحراراً، ولكي نكون أحراراً، يجب أن نكتسب السيادة على أنفسنا. هذا مهم للغاية، ولتحقيق ذلك، يجب أن نتعلّم أن ننظر ونتعلم، ولكن لا أن ننظر فقط إلى الناس والمواقف، بل أن ننظر إلى الله ونتعلم ونسمع. الطاعة أمر حيوي. طاعة إرادة الله تتطلب تدريباً. إرادة الله هي جنون، وإرادة الله متناقضة. لا يمكنكم التمسك بإرادة الله لأسباب مهمة. ما يطلب الله في كثير من الأحيان هو عمل حماقة لا نجرؤ على ارتكابه لو لم يطلبه. تذكروا إبراهيم: لقد وعده الله بابن ووُلِد الابن. وُعِد أن يكون الابن بدايةً لجيل من الناس أكبر عدداً من رمل البحر؛ فآمن إبراهيم. ثم أمره الله أن يأخذ ابنه ويقدم له دمه قرباناً، ففعل إبراهيم. لم يقل لله: "هذا يتعارض مع وصيتك السابقة" أو "هذا مخالف لوعدك". لقد وثق بالرب وفعل ما قاله في تلك اللحظة، تاركاً الربّ يفي بوعده بالطريقة التي يعرفها.

هذا يحدث لنا أيضاً. نحن مدعوون للعمل يوماً بعد يوم، لحظة بعد لحظة، حسبَ إرادة الله المعلَنة في تلك اللحظة التي يكمن فيها الاختلاف بين الفعل المسيحي والعمل العادل في حقيقة أنّ أي فعلٍ يجب التخطيط له، ويجب ألا يتعارض فعلٌ مع فعلٍ. لا توجد عودة ولا حركة للخلف أو الجوانب؛ يجب أن يكون مساراً مستقيماً. إذا أردنا أن نتصرّف ضمن مشيئة الله، يجب أن نكون مثل المسيح الذي يستمع للكلمة ويعلنها، والذي يحدّق بانتباه إلى الله الذي يعمل، وعندما يرى، يقوم بالعمل المنضوي في مشيئة الله، في فكره، في

تصوراته الغنية الخلاقة. هذا ما يجب أن نتعلمه، ولكن للقيام بذلك، يجب أن نتعلم السيطرة على أنفسنا وأن نصبح قادرين على التصرف، ليس فقط عندما نتفق، ولا فقط عندما نفهم، ولكن عندما نختلف في مكانٍ ما داخلَ آدم القديم فينا، أو عندما لا نستطيع أن نفهم إلا قول "أنا أثق بك، سأتصرف بحماقة".
للسابق فضيلة أخرى. تذكروا ما قاله: "يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ". دورنا هو نشق طرقاً مستقيمة. دورنا هو في جعل الطرق الصعبة سلسة، ومتى فعلنا ذلك، يجب أن نتنحى جانباً، ونسمح لرب الحياة الذي نعدّ له الطريق أن يأتي بطريقة مهيبة، أو بتواضع المسيح أو ببساطة دخوله إلى أورشليم. ويجب أن نصير منسيين، لأنه ما دُمنا أننا نلوْحُ في الأفق، لا يرى الناسُ المسيحَ.
هناك حالة يكون فيها غيابنا أساسياً لمجد الله وعمله مثل وجودنا في لحظة أخرى.
تذكروا الطريقة الأخرى التي بها يُعرَّف السابق. في حديثه عن نفسه يقول إنه صديق العريس - الشخص الذي يحب العروس والعريس، والذي يجمعهما معاً، فهو يحبهما لدرجةٍ يصير حامياً لحبهما وانسجامهما وسلامهما ولقائهما، ودعوتُه هي الجمع بين العروس والعريس - الإله الحي والروح الحية، ومن ثم يقف حارساً لحماية هذا اللقاء من أي تدخل، ولكن ليس ليكون طرفاً في هذا الاجتماع، بل ليكون في الخارج؛ هذا هو أسلوبه الخاص بالمحبة والخدمة. وفي نفس الوقت، يجب أن نكون مستعدين أيضاً لمواجهة مجيء الملكوت باسم العروس والعريس اللذَين نخدمهما، باسم سر المحبة هذا: انتصار الله على كل ما هو موت، شر، خطيئة، انفصال، رذالة، وما هو صغير بالنسبة لمقياس الإنسان وقامته. يجب أن نكون مستعدين لقول الحقيقة للإنسان، حقيقة الله، لا حقيقتنا.
تذكروا طريقة حديث السابق إلى هيرودس، وطريقة حديثه مع الجموع. للكلام بذلك الشكل، يجب أن نمتلك السلطة، والسلطة لا تُكتسَب لا بالرتبة ولا بالمكانة الاجتماعية. يتم اكتساب السلطة من خلال هذا الاندماج بين إرادتنا ومشيئة الله، كلمتنا وكلمة الله، حياتنا وحياة الله، نحن والله؛ عندها يمكننا أن نتكلّم، من ثمّ كلماتنا، مهما كانت قاسية، مهما كانت حادة، مهما كانت صادقة، مهما كان العمق الذي تبلغه، ومهما كانت تفصل بين الجسد والنفس، فإنها ستكون أيضاً كلمات محبة، لأن كلمة الله هي دائماً كلمة مانحة للحقيقة والنور والمحبة والحياة. وبعد ذلك يجب أن نكون مستعدين لأن لا نرى نتائج ما قمنا به. مات السابق قبل أن يرى المسيح، وقد بلغ نهاية مهمته وأوفى بوعود دعوته، ورقد. مات بسبب رسالته، ومات لِحقّ الله، ومات لأنه تماهى مع الرسالة والحق، لأنه كان صديقاً للعريس وكان عليه أن ينقص حتى يأخذ العَريس كل المجال.
يجب أن نكون مستعدين لذلك. في كل حالة، في ما يتعلق بكل نفس، بكل مجموعة، بكل حدث، بكل موقف، هناك هذا الوقت للسابق، وهناك وقت له لينقص ويموت، ربما ليس جسدياً، ولكن في ذاكرة الناس، في قلوبهم، في علاقاتهم. يجب أن نكون مستعدين لأن لا يتذكرنا أحد أبداً لأن ما بذرَته الكلمة غنيّ جداً، وغامر جداً، بحيث يمكن نسيان السابق الذي أعدّ الطريق، الذي حرث، الذي زرع. هذا هو الفرح. إن الفرح برؤية المسيح، الرب، ينمو إلى قامته الكاملة، ليحتل مكانته الحقيقية، ليكون الملك والسيد والربّ، والأخ والمخلِّص، وفرح وحرية الذين جئنا إليهم قائلين: "إنه آتٍ، افتحوا له ذواتكم". هذا ما يسميه الكتاب المقدس التوبة أو التحوّل.
الآن، اسمعوا ما يقوله الكاهن للشعب في نهاية القداس الروماني: "اذهبوا". إنه حلّ؛ ولكن ما هو الحلّ؟ أن يقول ببساطة أن الخدمة قد انتهت، (امضوا) إلى خارج الكنيسة ، بينما تقول الجماعة بطريقة فيها شيء من التورية: "الشكر لله". لا، ليس هذا. الحلّ يعني: لقد كنتم على جبل التجلي ورأيتم مجد الله، كنتم على الطريق إلى دمشق وواجهتم الله الحي، كنتم في العلية، كنتم هنا وهناك في الجليل واليهودية وجميع الأماكن السريّة التي يلتقي فيها الإنسان بالله، والآن بعد أن أمضيتم عدة أيام معه، الآن بعد أن أُعطِيتُم الكثير يقول اذهبوا، وفرحكم لن يترككم. ما اكتسبتموه لن تخسروه أبداً ما دُمتُم مخلِصين. اذهبوا الآن، وإذا

كنتم قد اكتشفتم الفرح حقاً، فكيف لا يمكنكم أن تمنحوا الفرح للآخرين؟ إذا كنتم حقاً قد صرتم أقرب إلى الحقيقة، فكيف يمكنكم الاحتفاظ بها لأنفسكم؟ إذا كان قد أُضيء شيء فيكم حقاً وهو الحياة، فهل ستقبلون ألا يكون لأي شخص شرارة من هذه الحياة؟ هذا لا يعني أن تذهبوا وتخبروا الجميع بأشياء دينية حصراً أو باستخدام عبارات كهنوتية. هذا يعني أنه عليكم أن تخرجوا إلى العالم الذي هو خاصتكم، بإشراق وفرح وقوة تجعل الجميع ينظر إليكم ويقول "هذا عنده شيء لم يكن لديه من قبل. هل حقاً قد اقترب الله؟ إن عنده شيئاً لم يكن لديه من قبل ولا اِمتلَكَه - الفرح، الحياة، اليقين، شجاعة جديدة، رؤية جديدة جريئة، أين يمكنني الحصول عليها؟"

سوف يقول الناس لكم أيضاً "أنتم مجانين". جوابي في تلك الحالات، وهي كثيرة، أن أقول: "أنا مجنون، لكن ثمَّةَ شيءٌ واحدٌ أجده غريباً. أنتم الحكماء تنادون إنساناً بالمجنون، والمجنون سعيد وحي ويشعر أنكم أموات؛ فلنتشاركْ جنوني، إنه جنون الله".

ستنطلقون الآن مع الله. اذهبوا الآن معه في كل الدروب وفي كل الطرق. يمكنكم أن ترقصوا على جبل التجلي، ويمكنكم أن تجلبوا محسوسية الحياة للآخرين. فليبارككم الله فيها بالفرح. لا أعرف أي كلمات غير "بالفرح": امضوا بفرح، اجلبوا الفرح، وبعد ذلك ستكونون قد أحضرتم كل شيء آخر، لأن الله هو فرح، هو حياة، هو غزارة. وليبارككم الله، وليس أنتم فقط، بل الجميع مع عائلاتكم وأصدقائكم، والذين كانوا هنا أو لم يكونوا، والذين سوف تقابلونهم طوال حياتكم، امنحوهم شرارة.

Source: Archbishop Anthony Bloom (1971). “John the Baptist”. God and Man. Newman Press. NY. 1971. pp. 121-125

ميلاد والدة الإله

الميتروبوليت ييروثيوس فلاخوس
نقلها إلى العربية الأب انطوان ملكي

تحتفل الكنيسة بميلاد والدة الإله في الثامن من أيلول من كل سنة، وهو بداية أعياد والدة الإله، التي منها تنشأ أعياد السيد المسيح. ترتبط الأهمية اللاهوتية العظيمة للعيد بتجسد المسيح، وهو نتيجة الاتحاد الأقنومي بين الطبيعة الإلهية والبشرية في المسيح، والذي تمّ في رحم والدة الإله. هي لم تلد مجرد إنسان، بل ولدت الله. أعطت جسدها للأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، ولهذا سميت ثيوتوكوس أي والدة الإله. وبحسب القديس يوحنا الدمشقي، فإن هذه الكلمة (ثيوتوكوس) "تشكّل كل سر التدبير".

١. أول أعياد والدة الإله في السنة الكنسية

تبدأ السنة الكنسية في الأول من أيلول، بداية الإنديكتي، وعيد ميلاد والدة الإله هو أول عيد للسيدة في السنة الكنسية، لأن العد التنازلي لخلاص البشرية بدأ بميلادها. تنتهي السنة الكنسية في الحادي والثلاثين من آب بعد عيد رقاد والدة الإله وعيد وضع زنارها الثمين.

بدأ الاحتفال بعيد ميلاد والدة الإله في القدس في القرن السادس، في الكنيسة التي بُنِيَت في القرن الخامس على الموقع الذي كانت فيه "بركة الغنم" بالقرب من منزل عائلة أم الإله. تسمّى هذه الكنيسة بكنيسة السيدة والدة الإله. انتقل العيد من القدس إلى القسطنطينية في القرن السابع، حيث أدخله القديس أندراوس رئيس أساقفة كريت، الذي كان مقدسياً. قد يكون العيد حُدّد في الثامن من أيلول إما لأنه تاريخ تدشين الكنيسة أو لأنه في بداية السنة الكنسية.

بحسب يوسف برينيوس، فإن عيد ميلاد والدة الإله هو "أول عيد في السنة بالنسبة لنا"، وعيد رقاد والدة الإله هو "آخر أعياد السيدة"، باعتبار أن السنة تبدأ بميلاد السيدة ذات السيادة "وتنتهي بانتقالها." تبدأ السنة الكنسية بميلاد السيدة العذراء الكلية القداسة وتنتهي برقادها المجيد.

يكتب المعلم يوسف برينيوس نفسه أيضاً أن عيد ميلاد والدة الإله "له أسبقية بارزة على كل احتفال"، وبعبارة أخرى، إنه أعظم امتيازًا من جميع الأعياد ويأتي قبلها جميعًا. كما أن جذر الشجرة هو سبب فروعها وسيقانها وزهورها وثمارها، ولا يوجد أي منها بدون الجذر، فالأمر نفسه ينطبق على الأعياد أيضًا. بدون عيد ميلاد والدة الإله "لن يظهر أي شيء مما ينمو". كما أن عيد العنصرة هو الفاكهة والنتيجة النهائية لجميع الأعياد السابقة، وهو أولها كالجذر، كذلك هو عيد ميلاد والدة الإله. يكتب يوسف برينيوس: "كما أن هناك عيد العنصرة لأن هناك الصعود، والصعود بسبب القيامة، والقيامة بسبب الصلب، والصلب بسبب المعجزات، والمعجزات ترجع إلى المعمودية، ومن المعمودية من التقديم إلى الهيكل، ودخول الهيكل يأتي بسبب الميلاد، والميلاد بسبب البشارة، والبشارة هي دخول قدس الاقداس. ومن الواضح أن هذا يرجع إلى أن ميلاد السيدة العذراء والدة الإله جاء أولاً ".

إذا فسّرنا هذا التسلسل في الاتجاه المعاكس، فهذا يعني أن عيد ميلاد والدة الإله كان مصدر جميع الأعياد الأخرى، بما في ذلك دخول والدة الإله إلى الهيكل، وبشارتها، وميلاد المسيح، تقدمته إلى الهيكل، المعمودية، المعجزات، الصلب، القيامة، الصعود، والعنصرة.

تُعتَبَر السنة الكنسية بكاملها سنة خلاص، وزمناً للخلاص، ولذلك توصف بأنها "سنة النعمة". وهي مقسمة إلى أعياد الرب، أعياد والدة الإله، وأيضًا أعياد القديسين، وكل هذه الاحتفالات تحدد السنة. بهذا المعنى، حياتنا كلها هي وقت الخلاص، ومن خلال أعياد التدبير الإلهي نختبر أحداث حياة المسيح، وهذا

يحدد حياتنا بأكملها ويلوّنها. يسمى تجسدُ المسيح "التدبيرَ الإلهي" (من الكلمة اليونانية oikonomia، والتي تعني "الإدارة" أو "التنظيم") لأنه يوضح كيف رتّب الله خلاص البشرية. هذا هو التاريخ المقدس.
بحسب القديس أندراوس الكريتي، فإن عيد ميلاد والدة الإله هو بداية ووسط ونهاية جميع الأعياد من وجهة نظر التدبير الإلهي. إنه بداية الأعياد لأنه "يبدأ من إتمام الناموس. إنه نقطة المنتصف لأنه يجمع بين النقيضين؛ وهو النهاية لأنه يظهر الحقيقة". بهذا العيد يكتمل الناموس الذي تكلم عن المسيح؛ يبدأ العد التنازلي للخلاص؛ الحق الذي هو نهاية الناموس يُكشَف؛ والعهد القديم والجديد يتحدان.
يكتب القديس غريغوريوس بالاماس أن شهر أيلول هو الشهر الأول وبداية السنة الكنسية، وفي هذا الشهر بدأت أسرار خلاصنا. إن عيد ميلاد والدة الإله، باعتباره أول عيد للكنيسة في السنة، هو أول احتفال "باستردادنا وتجديدنا" بالنعمة. إنه اليوم الذي فيه بدأ كل شيء يتجدد، عندما بدأ إدخال وصايا دائمة بدلاً من التعاليم المؤقتة، الروح بدلاً من الحرف، والحقيقة بدلاً من الظلال.
من خلال تقويم الأعياد الذي أقامته، تريد الكنيسة أن تُظهر للمسيحيين أنه لا ينبغي لهم أن يروا حياتهم عبر الأحداث السياسية والتاريخية والاجتماعية، بل في ضوء أحداث الخلاص، كما يتم التعبير عنها في أعياد السيد ووالدة الإله، كما في أعياد القديسين. لذلك نحدد مواسم السنة (الخريف والشتاء والربيع والصيف)، وكذلك أشهرًا معينة، من خلال تقويم الكنيسة الرائع الذي وضعه آباء الكنيسة باستنارة إلهية.
تكشف قراءات الأعياد والترانيم التي تُنشَد عن معنى كل احتفال، لكنها قبل كل شيء توجه أفكار الناس نحو الهدف من وجودهم، ونحو اكتساب عقلية كنسية أرثوذكسية أصيلة. لذلك فهُم يساهمون بمشاركتهم في حياة الكنيسة وفي تألُّههم.

٢. حدث ولادة والدة الإله

إن إنجيل يعقوب، الذي سبق وذكَرْنا أنه إنجيل منحول غير مدرج في قانون العهد الجديد، يحكي عن ولادة والدة الإله ونموها وخطواتها الأولى والاحتفال الذي أقامه يواكيم عندما صار عمرها سنة واحدة.
لا يأتي سنكسارُ عيد ميلاد والدة الإله على ذكر ولادتها إلا قليلاً. يكتب أن يواكيم وحنة كانا من أصل ملكي وكانا فاضلين بارزين، لكن لم يكن لهما أولاد. بما أن يواكيم كان "ورعاً وغنياً" ، فقد كان يقدم قرابين مزدوجة لله ، لكنه كان يوبَّخ لكونه بلا أطفال. لذلك انسحب إلى الجبل وذهبت حنة إلى حديقتها، وسعى كلاهما إلى الله بدموع من أجل إنجاب طفل. لقد مزجا العفة والصلاة من أجل الإنجاب. سمع الله صلواتهم و"أعطاهما ثمرة الرحم المقدسة، والدة الله الفائقة القداسة".
أشاد آباء الكنيسة بفضيلة يواكيم وحنة، كما بولادة العذراء الكلية القداسة، من خلال العديد من العظات. تم حفظ بعض هذه المواعظ، بما في ذلك مواعظ القديس يوحنا الدمشقي، والقديس فوتيوس الكبير، والقديس أندراوس الكريتي، والقديس غريغوريوس بالاماس.
قبِلَ آباء الكنيسة بعض الأحداث المحيطة بميلاد والدة الإله كما ترِد في إنجيل يعقوب وامتدحها كتّاب الترانيم المقدّسة، وأدرجت الكنيسة نفسها العيد في عبادتها. وهذا صحيح، لأن هذه الأحداث تشير إلى أم المسيح، التي ساهمت بشكل كبير في خلاص الجنس البشري كسبب لميلاد المسيح وخلاص الإنسان.
تصوِّرُ الأيقونات المقدسة السيدة العذراء في مشاهد مختلفة منذ ولادتها حتى رقادها. الهدف هو بالطبع التعبير عن عقيدة تجسد ابن الله وكلمته. تكرَّم والدة الإله، قبل كل شيء، بسبب "ثمرة بطنها" وكل ما يتعلق بالمسيح. إن فضائلها تعتمد على هذه الحقيقة اللاهوتية.
تتخذ أيقونة ولادة والدة الإله أشكالًا مختلفة. أحياناً تُصوَّر والدة الإله على أنها طفلة تُحمِّمُها امرأتان في حوض، كما هو الحال في المشهد المقابل لميلاد المسيح. في بعض الأحيان، تظهر كطفل ملفوف في أقمطة، حسب العادة، مستلقية في مهد تهزه خادمة وهي في نفس الوقت إما تدور أو تحمل مروحة. عادةً ما يُظهر

الجزء العلوي من الأيقونة القديسة حنة جالسة على سرير، بينما الخادمات اللائي في خدمتها يحملن مراوح أو يجلبن لها الطعام. تصوِّرُ الأيقونات الأحدث لميلاد السيدة العذراء مشهدَين، أحدهما يظهر والدة الإله وهي تغتسل بعد ولادتها، والآخر يظهرها وهي تستريح في مهد (كونستانتينوس كالوكيريس).

إن مَن يرى هذه الأيقونات يمتلئ بالدهشة من مجيء السيدة العذراء الكليّة القداسة إلى العالم وتهيئة الله لتجسد كلمته. أيضاً يرى طريقة توليد الأطفال في تلك الحقبة، والتي كانت مختلفة بشكل ملحوظ عما يحدث اليوم. في الوقت الحاضر، تلد النساء في ظروف مثالية في العيادات، متمتعات بأحدث رعاية علمية وبإشراف طاقم طبي وتمريضي. في كل مرة يولد فيها طفل، يجب أن نحمد الله على ولادة الطفل، كما على الظروف الأكثر ملاءمة التي تتم فيها الولادة.

يكتب القديس أندراوس الكريتي أن مريم والدة الإله هي "خميرة العجين الكاملة"، و "من خلالها يصنع الجنس البشري خبزاً حتى يعاد تكوينه". هذه الصورة مأخوذة من فِعل الخميرة بالطحين في صناعة الخبز. الدقيق ضروري لصنع الخبز، لكن يجب خلطه مع الخميرة التي تخمّر العجين الأصلي وتحوّله إلى خبز. في هذه الاستعارة، يُشبّه الجنس البشري كله بالدقيق، ولكن لكي يصبح هذا الدقيق خبزاً، هناك حاجة إلى الخمير أيضاً. إن شخص العذراء القديسة المبارَك كان ضرورياً لإعطاء الطبيعة البشرية للمسيح، الذي هو خبز الحياة، حتى يتمكن الجنس البشري كله من إعادة تكوينه بعد معاناته من الفساد من خلال سقوط أول البشر المخلوقين.

يصف القديس نيكولاس كاباسيلاس يوم ميلاد والدة الإله بأنه وليمة للمسكونة بأسرِها. لذلك، نحن لا نحتفل بهذا اليوم باعتباره "عيد ميلاد العذراء"، ولكن باعتباره عيد ميلاد "المسكونة بأسرها". كما أنه يستخدم أيضاً صورة العين العمياء. كان الإنسان معمى بسبب الخطيئة التي ارتكبها فأظلمت طبيعته. لم يكن لديه عيون ليرى مجد الله. بعد ذلك، مع ولادة الكلية القداسة العذراء، الطبيعة البشرية العمياء "تلقت عيناً حقيقية"، أي العذراء، وبهذه العين استطاعت أن ترى عظمة اليوم، التي هي المسيح .

يكتب يوسف بريينيوس أن "العذراء ولدت كطفل بكر وسوف تحمل بكر الخليقة". إن ابن الله وكلمته هو "صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ" (كولوسي ١:١٥). حسب ميلاده الإلهي، فقد وُلِد من الآب قبل خلق العالم، وبحسب طبيعته البشرية قام كبكر لجميع الأموات الآخرين. لذلك كان من اللائق أن يولد بكر كل خليقة من عذراء بكر، هي والدة الإله الفائقة القداسة. كما أن آدم الأول خرج من الأرض العذراء، فإن إعادة تكوين الجنس البشري يجب أن تتم "من خلال رحم العذراء".

يذكّرنا ميلاد السيدة العذراء، كما نراه في الأيقونات أيضاً، بميلاد جميع البشر، لأن كل شخص هو مولود بقوة الله من خلال المادة الوراثية لوالديه. يأتي الحمْل والحَبَل والولادة بطريقة مدهشة، وهو حقًا سر. تتكرر هذه الحقيقة مراراً وتكراراً في تاريخ البشرية، ونتوقع دائماً أن يتم الكشف عن إرادة الله من خلال ولادة طفل، إذ يُمجَّد الله من خلال الطفل، ويحقق كل إنسان هدفه في النهاية وهو القداسة.

في الوقت نفسه، من خلال عيد ميلاد والدة الإله، نكرّم أيضاً النساء اللواتي يقبلن كل ما يتعلق بالحمل والحَبَل والولادة، على الرغم من الألم الذي يعانين منه. لكنهن بهذا يصبحن أمهات ينقلن الحياة.

٣. فرح كل المسكونة

تقول طروبارية العيد أن ميلاد والدة الإله جلب الفرح للعالم كله، ولهذا السبب فهو عيد عالمي. "ميلادك يا والدة الإله بشّر بالفرح كل المسكونة." إنه عيد لكل المسكونة يسمو فوق العالم، فرح عالمي، احتفال بميلاد والدة المسيح. يمكن فهم هذا الجانب العالمي من العيد من ناحيتين.

أولاً، إنه يشير إلى كل الخليقة، الأرضية والسماوية، الملائكية والبشرية، لأن العذراء الكلية القداسة هي فرح كل الخليقة. في كل العصور، كان الأنبياء والآباء وأبرار العهد القديم ينتظرونها. لقد عاشوا جميعاً

تحت تسلّط الموت وكانوا ينتظرون مخلصاً. كانوا ينتظرون تجسد الكلمة غير المتجسد، ملاك المجد، حتى يتحرروا من تسلط الموت والفساد.

المعنى الثاني للفرح العالمي والاحتفال العالمي يتعلق بالمسيحيين الذين يعيشون في جميع أنحاء العالم المعروف في ذلك الوقت، في جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية المسيحية. كان الاحتفال بعيد ميلاد والدة الإله يجري في كل مكان في الإمبراطورية، أي العالم المعروف آنذاك، خاصة بعد قرار المجمع المسكوني الثالث في أفسس عام ٤٣١، الذي تصدى للبدعة النسطورية ووضع المصطلح ثيوتوكوس، بدلاً من النسطورية خريستوتوكوس. كما حُدد هذا العيد أيضاً كأول أعياد والدة الإله والرب. كرمت الإمبراطورية الرومانية المسيحية المسيح والعذراء الكلية القداسة، فكان تكريس كنيسة الحكمة الإلهية (آيا صوفيا) للمسيح، حكمة الله، كما كُرِّسَت القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية، لوالدة الإله وكانت تتطلع إلى حمايتها.

لسوء الحظ، كثير من الناس في الوقت الحاضر لا يعتبرون الأعياد، مثل عيد ميلاد والدة الإله، احتفالات عالمية. لقد أثّر الارتباك والتغيير على حياة الإنسان والغرض من وجوده. لقد ترك الناس اليوم وراءهم المسيح الإله-الإنسان، وتحوّلوا إلى إلى "الإنسان-الإله". بدلاً من أن تتمحور حياتهم حول المسيح وأمه، وضعوا في المركز إما أنفسهم أو أنظمة فلسفية واجتماعية مختلفة. تم تحديد الاحتفالات العالمية الأخرى، التي لا علاقة لها على الإطلاق بالمسيح أو العذراء القديسة أو القديسين أو الكنيسة بشكل عام، في كل يوم من أيام السنة. تستمر الكنيسة في الاحتفال بميلاد والدة الإله كعيد عالمي وشامل. والذين يسلكون بضمير حي ضمن الكنيسة، جسد المسيح، يصبحون كونيين وعالميين حقاً، لأنهم يحبون جميع البشر ويتعاطفون معهم ويصلّون من أجلهم. إنهم يشعرون بالاتحاد مع العالم كله، ويشعرون بحضور الملائكة والقديسين. تحترق قلوبهم بمحبة المسيح والعذراء القديسة، ويشعرون بمجد الله بمختلف الطرق. بكلمة، إنهم يلامسون الخلود. فالمسيحيون، إذن، ليسوا فقط كونيين وفوق الحدود الوطنية، بل هم أيضاً يتجاوزون العالم وأبديون بنعمة الله. وحدهم مثل هؤلاء الأشخاص يمكنهم إدراك قيمة هذه الفرحة العالمية والاحتفال العالمي الذي يتجاوز العالم.

Source: Hierotheos, Metropolitan of Nafpaktos. (2016). “The Birth of the Theotokos”, in The Feasts of the Mother of God. Transklated by Sister Pelagia Selfe. Birth of Theotokos Monastery. Pelagia. Levadia. Greece . pp. 59-70.

التبنّي بين الماضي وأسئلة الحاضر

الأب أنطوان ملكي

بعض التاريخ

لطالما كان هناك أطفال في العالم لم يتربّوا مع والديهم بالجسد، لأسباب مختلفة من عائلية إلى اقتصادية وحروب وغيرها. عرفت البشرية أطراً متعددة للاهتمام بهؤلاء الأطفال وتطورت هذه الأطر مع الزمن. في المقابل، لطالما كانت هناك عائلات بحاجة إلى ضمّ أطفال إليها بعد أن عجزَت عن إنجابهم.

فاليونان القديمة عرفت عبادة الإلهة إستيا، حامية المنزل والأسرة، وأنشأت طقساً مرتبطاً بها سمي (Αμφιδρομίες) أي الطريق باتجاهين. كان على كل أسرة أن تقيم هذا الطقس في اليوم الخامس إلى العاشر بعد ولادة الطفل، وهو مزيج من إعطاء الاسم كما الإشارة إلى اعتراف الأب بالطفل ودمجه في المنزل وربطه بالإلهة حامية الأسرة. أما الأسر التي لم تنجِب أو التي خسرت أطفالها، خاصة الوريث منهم، فكانت تمارس الطقس نفسه مع طفلٍ أصلُه من خارجها ولكنْ بعد هذا الطقس يكون قد اندمج فيها. يعتبر الدارسون اليوم هذه الممارسة واحدة من أقدم أشكال التبنّي [١].

في اليهودية القديمة، لم يكن التبني موجوداً كممارسة رسمية ولم تكن كل المدارس اليهودية تعترف بصلاحية التبني، حيث عرف اليهود وجهتَي نظر متناقضتين استناداً للتنشئة والطبيعة. بعض الحركات الدينية اليهودية اعتبرت التبنّي عملاً صالحاً استناداً إلى تعاليم تلمودية تقول بأن تربية يتيم في المنزل تجعله ينتسب إليه كما لو أنه ولدَه، وأن وصية الإنجاب يمكن أن تتحقق أيضاً من خلال التبني. مدارس أخرى رفضت التبنّي لأسباب تتعلّق بالنسب والحالة البيولوجية التي اعتبرتهما قيماً أساسية عندها [٢]. الظاهر أن الإسلام تأثّر، من ضمن تأثّره باليهودية، بالمدرسة الثانية، مع أنه أوجد نظام الكفالة لليتيم [٣].

هدف هذه الدراسة إظهار موقف الأرثوذكسية من التبنّي وليس تفصيل تاريخ التبنّي ومفهومه وممارسته بشكل عام. لهذا، فالمُرادُ قوله مما سبق هو أنَّه لطالما كان هناك أزواج لم ينجبوا بالرغم من مختلف محاولاتهم ما أدى إلى وجود التبنّي منذ زمن طويل، وقد أنشأت المجتمعات المختلفة أطراً عديدة لممارسته، كل مجتمع حسب إيمانه وحاجته. تعكس الدراسة الإيتومولوجية لكلمة "التبني" في عدد من اللغات هذا الأمر. ففي اليونانية، الكلمة هي (υιοθεσία) المركبة من (υιον) أي ابن و(θέσθαι) أي مكان، فيكون المعنى "بمكان الابن". في العربية، كلمة "تبنّي" أقوى في التعبير عن اتخاذ ابن. في السلافية أيضاً (усыновление)، جذر الكلمة هو كلمة "ابن" (Сын). في العِبرية، التبني هو 'אימוץ'ـ(immutz)ـ التي تعني "أن تجعل الإنسان قوياً". أما في لغات أخرى كالإنكليزية والفرنسية فلا شيء مشترك بين كلمتَي "تبنّي" و"ابن". على خلاف ذلك، تعكس كلمة "التبني" (adoption) فعل التملّك أو الاختيار الشخصي [٤].

تحديد التبنّي

يوجد اليوم العديد من التحديدات لمفهوم التبني، ويقوم كل منها على العوامل التي تمثّل الأولوية لدى الجهة صاحبة التحديد. من هذه العوامل الاجتماعيّ والقانوني والعاطفي والتربوي والاقتصادي والإيماني، كما مختلف التركيبات التي قد تنشأ من تلاقي أكثر من عامل في حالة واحدة.

بشكل عام، التبني هو العملية الاجتماعية والعاطفية والقانونية التي يصبح فيها طفل لا يتربّى مع والديه بالجسد (البيولوجيين) عضواً كاملاً ودائماً في عائلة أخرى توفّر له الأمن والاستمرارية والمحبة وتتحمل كأسرة بشكل دائم مسؤولية تربيته. وبالتالي، بالتبني تنتقل بشكل دائم جميع الحقوق والمسؤوليات القانونية إلى الوالدَين المتبنِيَين، وتنشأ بينهما وبين الطفل علاقة تعطيه الحق بالتمتع بجميع امتيازات الطفل الطبيعي، بما في ذلك الحق في الميراث. هذا التحديد تتبنّاه بنسَب مختلفة كافة الهيئات والقوانين

المدنية التي تُعنى بتنظيم عملية التبنّي في غالبية الدول. في غالبية قوانين الأحوال الشخصية في الشرق والغرب، لا يكون التبني شرعياً إلا في حالة الأسرة التي تستوفي شروطاً محددة. عرفت بعض الدول الغربية مؤخراً حالات تبنٍ حيث الأهل هم أفراد عازبون قانونياً، أو مثليون، أو بشريون فيما المُتَبَنَى هو حيوان أليف.[٥]

نظرة الكنيسة الأرثوذكسية

تعرّف الكنيسة الأرثوذكسية التبنّي بأن "يتّخذ الإنسان ابناً أو بنتاً له من غير صلبه" [٦] ترى الكنيسة في تبني الأطفال عملاً قانونياً لتكوين أسرة وبديلاً اختيارياً للأزواج الذين ليس لديهم أطفال. يقول الأستاذ جورج مانتزاريدس بأن "التبنّي هو الفعل الكلاسيكي لتغطية عدم الإنجاب، والذي قبلته الكنيسة أيضاً" [٧].

تعتبرُ بعض التحديدات أن التبني هو "فعل يأخذ فيه الإنسان شيئاً ما على أنه ملكه". وفي حالة الأطفال، يشير التبني إلى العملية القانونية التي فيها يصبح إنسان ما والداً غير بيولوجي [٨].من الواضح جداً أن الكنيسة لا تستطيع قبول هذا التحديد. فهو بالدرجة الأولى يحكي عن التملّك الذي هو خاصية غير موجودة في نظرة الكنيسة إلى علاقة الأهل والأبناء المسيحيين. كما أن هذا التحديد لا يشترط وجود أب وأم، أما الكنيسة فترى أن التبنّي يكون في أسرة تتمثّل بالأب.

ليس عند الكنيسة الأرثوذكسية قرار من مجمع مسكوني أو نص آبائي يفنّد التبنّي، كالنص الوارد عند توما الأكويني في (Summa Theologiae) حيث يفرد فصلاً "السؤال السابع والخمسون" يناقش فيه باستفاضة أسئلة وملاحظات عن التبني ليحدده مع شروطه وقوانينه [٩]، وهو نص مرجعي في الكثلكة.

في الكنيسة الأرثوذكسية خدمةٌ للتبنّي موجودةٌ في كتاب الإفخولوجي الكبير، ولا يوجد نصٌّ مختصر لها كغيرها من الخِدَم في الإفخولوجي الصغير الذي يستعمله الكهنة في يومياتهم. هذا يعني أن الخدمة تتكرر بشكل محدود. ليس هناك أي دلائل على أن هذه الخدمة هي تعميد لطقس الإلهة إستيا المذكور أعلاه.

التبني في التقليد الأرثوذكسي

على ما يظهر من التقليد، بما فيه سير القديسين، من الواضح أن التبنّي نشأ نتيجةً لاهتمام الكنيسة بالأيتام. نذكر هنا القاسيلياذا التي أنشأها القديس باسيليوس الكبير، والتي ضمّت مؤسسات تُعنى بالأطفال خاصة المشردين والأيتام منهم، كتطبيق للوصية برعاية إخواننا من البشر. كما نجد لدى القديس غريغوريوس اللاهوتي إشارات إلى "أنظمة اليتامى" التي ربطها بالأديرة وأيّدها من خلال التأكيد على أن "عمل الإنسان الخيري ومحبته العملية لأخيه الإنسان هما أقصر الطرق وأسهلها للخلاص". أما القديس يوحنا الذهبي الفم فيؤكد بشكل واضح ومتكرر أن الصوم والصلاة لا فائدة منهما إذا لم نهتم بإخوتنا المتألمين. لذلك ضمّن قداسه طلبات العناية بالأرامل والأيتام. وتبرز سيرة القديس الشهيد في الكهنة زوتيكوس معيل الفقراء الذي تميّز برعايته لمرضى الجذام في زمن القديس قسطنديوس ومن ثم صار شفيع مؤسسات البر والإحسان في العاصمة البيزنطية. القديس ستيليانوس بافلاغونا عمل على حماية الأيتام والأطفال المتروكين، وبجهده تم إنشاء دور الأيتام التابعة للدولة. [١٠]

أيضاً نقرأ في سيَر قديسي الكنيسة أن القديس كوزما أسقف مايوما كان أخاً بالتبني للقديس يوحنا الدمشقي. أما في التعليم، فقد تكون أقدم إشارة مباشرة إلى التبني هي كلام القديس ديديموس الإسكندري الذي يحث فيه "على أن يكون للأيتام آباء من الأزواج والأرامل" [١١].

كانت تنتشر في بعض المناطق المسيحية، البلقان بوجه خاص، عادة اتّخاذ الأخ. حيث كان يقوم رجلان بإعلان وحدة دم بينهما تجعلهما أخوين. وكان البعض منهم يأتون إلى الكهنة ويطلبون أن تُبارَك هذه

العلاقة الناشئة، ما أدخل إلى بعض الإفخولوجيات خدمة عنوانها "اتّخاذ الأخ". يرفض القديس نيقوديموس الأثوسي هذه العلاقة مقارناً إياها بالتبنّي، معتبراً أن التبنّي ينشئ علاقة طبيعية، فيما ينشئ اتخاذ الأخ علاقة تربك العلاقات بين المسيحيين، خاصة زيجات الأقرباء، حيث أن بعض المتآخين اعتبروا رباط اخوتهم مساوياً للرباط الطبيعي وبالتالي طبقوا على أبنائهم قوانين منع الزواج. في دفاعه هذا يقول "التبني يقلّد الطبيعة، لكن الطبيعة لا تلد أبداً أخاً، بل تولّد ابناً فقط. لذا فإن التبني، باعتباره تقليداً للطبيعة، لا يمكن أن يصنع أخاً. ومن ثم فإن شيئاً كتكوين أخ بالتبني ليس فقط غير عملي أو عقبة أمام الزواج فيما بين مَن هم من هؤلاء الأخوة المزعومين بالتبني، ولكن لا ينبغي عرضُه على الإطلاق، بل يجب رفضه من كنيسة المسيح على أساس أنه سبب العديد من الشرور وهلاك النفوس لمعظمهم، ويتيح فقط لبعض الأشخاص أن يشبعوا رغباتهم الجسدية ويتمتعوا بالأحاسيس والعصبيات، كما أظهرت أمثلة لا حصر لها من التجربة الفعلية في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة".[١٢]

مواقف معاصرة

تطرّق العديد من القديسين والرعاة واللاهوتيين الأرثوذكس المعاصرين إلى موضوع التبنّي مشجّعين عليه.
يجيب القديس باييسيوس في كتاب "العائلة ونهاياتها" على أسئلة حول تبني الأطفال بقوله إن الله لا يعطي أولادًا للجميع لكي يحبوا جميع أطفال العالم باعتبارهم أطفالهم ويساعدوهم في التجديد الروحي. ويروي عن شخص لم يكن له أطفال، ولكن عندما كان يخرج إلى الحي كان جميع الأطفال يركضون إليه ويحيطونه بمحبتهم. ويستنتج القديس أن الله أحياناً لا يعطي الاولاد ليعزي اليتيم بالتبنّي. رداً على سؤال إذا كان الذين لا يستطيعون الإنجاب يفكرون بالتبنّي، فماذا يجب ان يفعلوا. أجاب القديس أنه بالطبع من الأفضل أن يتبنّوا، لكن من دون إصرار، لأن "ما يريده الإنسان ليس دائماً إرادة الله".[١٣]
رئيس أساقفة أثينا السابق المغبوط الذكر خريستودولوس، في كلمة ألقاها في أحد المؤتمرات حول الزواج والإنجاب في ٢٠٠٢، يقول مشجعاً على التبنّي أن الطفل اليتيم، بالنسبة للمسيحي، هو المخلوق الذي يتحمل مسؤوليةً تجاهه وذلك بجعله يشعر بالمحبة من خلال إدخاله إلى الأسرة، وإذ تكون أذرعنا مفتوحة يدخل المسيح من خلالها ويعانقنا. [١٤]
حثَّ البطريرك الروسي كيرللس المؤمنين على تبنّي الأطفال في عظة عيد الميلاد سنة ٢٠١٣، وذلك إثر توقيع الرئيس فلاديمير بوتين قانوناً يمنع الأمريكيين من تبني أطفال روس بعد أن كثرت عمليات التبني هذه [١٥]. دعوة البطريرك أثمرت، حيث نقرأ عن كهنة وعلمانيين ضاعفوا عمليات التبنّي هذه وبلغت الأعداد أرقاماً تضاهي دور الأيتام في بلدان أخرى [١٦].
حثّ بطريرك رومانيا المؤمنين الذين يرغبون بأن يكون لهم أطفال ويتعذّر عليهم ذلك، بادئ ذي بدء، على الصلاة كمِثل والدي السيدة العذراء. أمّا إذا لم يُعطوا هذه الهبة، فدعاهم إلى تبنّي الأطفال أو مساعدة العائلات الكبيرة. جاء هذا الكلام في عظته في عيد ميلاد والدة الإله، حيث قال أن أول ما نتعلمه من العيد هو أن والدة الإله هي ثمرة صلاة والديها، ودعا مَن ليس لديهم أطفال إلى أن يصلوا أكثر، وإذا لم يُعطوا صفة الأبوّة الجسدية، فيمكنهم أن يصبحوا آباء من خلال التبني وذلك بمحبة الأطفال الذين يتبنونهم، ولكن أيضاً من خلال مساعدة العائلات التي لديها عدد كبير من الأطفال [١٧].

خدمة التبنّي

كما ذكرنا، في كتاب الإفخولوجي خدمة للتبني تساهم في تكريس التبنّي كممارسة مقبولة في ضمير المؤمنين. كما كل الصلوات التي دخلت الإفخولوجي، هي ناشئة من حاجة. في خدمة التبنّي، يتم التأكيد على القرابة الروحية التي تنشأ بين المتبنّى والمتبنّي.
في تفاصيل الخدمة أن المُتبنّى يقف داخل الهيكل فيما المتبنّي يقف خارجه. طبعاً هذا يفترض أن المتبنّى

معمّد. أما لجهة الوقوف فلا توضح الخدمة ما ينبغي عمله إذا كان المتبنّى طفلاً صغيراً غير قادر على الوقوف. وكون كل الأمور في الليتورجيا موضوعة برمزية ومعانٍ تتخطّى الشكل، فالمعنى العميق المفترَض لهذا التوزيع هو أن يفهم المتبنّي أنه يُعطى الطفل من الله، من الهيكل، وعليه أن يسلك على هذا الأساس.

بعد الافتتاح، يتلو الكاهن الأفشين التالي: "أيها الرب إلهنا. يا مَن بواسطة فتاك الحبيب ربنا يسوع المسيح دعوتَنا أبناء لله بتبنّي ونعمة روحك القدوس القادر على كل شيء. يا مَن قلتَ: أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً. فأنت أيها الملك المحب البشر انظرْ من مسكنِك المقدّس إلى عبديك هذين اللذين ولدَتْهما الطبيعة مفصولَين بالجسد أحدهما عن الآخر واجعلهما متحدَين بروحِك القدوس اتحاد الأب بابنه. ثبّتْهما في محبتك. اربطْهما ببركتك. باركْهما في مجدك ووطدهما في الإيمان بك ليَحفَظا على الدوام ما تعهداه بشفاههما بلا تنكّث وكنْ وسيطاً لتعهدهما هذا لكي يحافظا حتى نهاية حياتهما على الوعد الذي اعترفا به أمامك فلا ينكثاه أو ينقضاه بل يعيشا فيك أنت إلهنا الحقيقي وحدك وأهّلهْما لأن يصيرا وارثَين لملكوتك. لأنه ينبغي لك كل تمجيد وإكرام وسجود، أيها الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين."

وبعد السلام وإحناء الرؤوس، يتلو الكاهن أفشيناً ثانياً: "أيها السيد الرب إلهنا المبدع الخليقة كلها. يا مَن عقدتَ في آدم الأول رباطَ القرابة الطبيعية الجسدية وأوضحتنا أقرباء لك بالنعمة بيسوع المسيح ابنك الحبيب إلهنا. إليك وحدك أنت العارف كل شيء قبل صيرورته قد حنى عبداك هذان رأسيهما مستمدَين بركتَك ومرتبطَين مع بعضهما برباط الأب وابنه الذي منك لكي يحظيا بما يرجوانه من الخيرات، ويسيرا كما يليق بالدعوة المتوجبة عليهما، وبالتبنّي الذي من لدنِك، فيُمجَّد بهذا أيضاً اسمك الممجد في كل شيء أيها الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين."

وينهي الإفخولوجي بأن الأب يستلم الابنَ من المذبح فيقع الابن على قدمي الأب فيدوسه هذا على عنقه قائلاً "أنت اليوم ابني وأنا ولدتُك"، ثم ينهضه ويقبّل أحدُهما الآخر. أما الكاهن فيُجري ختم الصلاة كالعادة ويباركهما ويعظهما.

ككل الخدم، تفهَم خدمة التبنّي من خلال الصوَر الإنجيلية التي تعكسها. نحن بالمسيح نلنا التبنّي: "وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ." (غلاطية ٤:٤-٥). هذا هو الأساس اللاهوتي الذي على أساسه تقبل الكنيسة التبنّي وتباركه وتطبّق عليه كل تدبيرها وقوانينها. "أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً" هي قول الرب لداود من خلال ناثان (أخبار الأيام الأول ١٧:١٣)، ويجمِع المفسّرون أن هذا الكلام هو عن المسوح وقد اكتمل في يسوع. أما اتحاد المتبنّي والمتبنَّى فهو بالروح القدس، والثبات هو بمحبة الله، والرباط هو ببركته. هذا بالحقيقة ينطبق على كل أب وابن.

أما الجزء الأخير من الخدمة، أي أن يدوس الأب عنق الابن، والتي قد تثير حمية المدافعين عن "حقوق الإنسان"، خاصةً أن غالبية ما يرد في الإنجيل عن دوس العنق مرتبط بالانتصار على الأعداء والشرير، وهو ما لا مكان له في هذه العلاقة التي تتخذ صورة الآب والابن نموذجاً، فالأرجح هو أن الابن الذي اتخذه أبوه ابناً يضع عنقه من أجل أبيه، كما يصف الرسول بولس القديسين أكيلا وبريسكيلا في رومية ١٦:٣-٤ بقوله " سَلِّمُوا عَلَى بِرِيسْكِلاَّ وَأَكِيلاَ الْعَامِلَيْنِ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، اللَّذَيْنِ وَضَعَا عُنُقَيْهِمَا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِي". وضع العنق هنا لا يشير أبداً إلى أي عبودية بل إلى التضحية التي هي أساس البنوّة كما الأبوة بالمنظار المسيحي.

التبنّي رعائياً

إن تسليط الضوء على التبنّي يأتي من حاجتين رعائيتين، لا ارتباط بينهما. الحاجة الأولى هي الارتفاع

الملحوظ في عدد العائلات التي تعاني من عدم إنجابِ أولاد، ما يؤدّي أحياناً إلى انفراطها، وملفات المحاكم الكنسية تشهد على أن هذا العدد كبير، أو إلى معاناةٍ قد يستغلّها بعض ممتهني الطب. هناك دراسات عديدة تكشف الأسباب التي أدّت إلى ضعف القدرة على الإنجاب، لا مجال للخوض فيها في هذه المقالة ولا اختصاص، مع التشديد على أن للكنيسة دوراً في الإضاءة عليها وعدم ترك هذا الموضوع في يد الطب وحده. فالمعروف اليوم أن الطب، الذي هو صاحب العلم، ومن دون أن يستطيع أن يقدم الحل دائماً، يثير أسئلة عديدة، إيمانية وأنثروبولوجية وأخلاقية، بالحلول التي يطرحها. من هنا أن دعوة الكنيسة إلى التبنّي تكون البديل الأكثر سلامية ومحبة وخدمة، خاصةً متى تأكد الزوجان أن صعوبة الإنجاب، طبياً، تتخطّى قدرتهما النفسية والصحية والمادية. أما إيمانياً فما هو غير مستطاع عند الناس سهل عند الله.

الحاجة الرعائية الثانية هي الرد على تبنّي أطفال من أفراد لا أسر، أو من أزواج مثليين.

الطفل، طبيعياً، هو ثمرة تزاوج رجل وامرأة. إلى اليوم، لم يصِر مقبولاً توليد الأطفال في المختبرات من آباء وأمهات مجهولين، ولم يعلن أحد أنه ينوي ذلك، مع أن الإمكانية التقنية صارت موجودة وشبه ناضجة. إذاً، حتى للتبنّي، هناك حاجة لوجود رجل وامرأة. من هنا أن العائلة، تاريخياً، حُددت على أنها نتيجة زواج رجل بامرأة. هناك حالات كثيرة في التاريخ وفي مختلف الحضارات حيث اعتُبِر تعدد الزوجات أو وجود الجواري أو الغلمان رسمياً، إنما هذا لم يُعتَبَر عائلة ولم يمس مفهوم العائلة ولا مبدأها، فبقيت العائلة مكونة من زوج وزوجة وأولاد.

توجد اليوم أجندات سياسية تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم، تقوم على أفكار لم تكن يوماً جزءاً من السياسة، وتتمحور جميعها حول العائلة. إن قضايا فك ارتباط التبني بوجود العائلة، أي قبول أن يكون المتبنّي فرداً لا عائلة، كما حرية الإجهاض وزواج المثليين ومنحهم إمكانية التبني، هي اليوم قضايا يُضحّى بشفافية العلوم النظرية ومصداقية العلوم التطبيقية من أجلها، كما تحوَّر التربية والتعليم لنشرها. الواضح أن هذا الانحراف هو عمل سياسي، ليست هذه المقالة لمناقشته. ما يهمّنا هو أن تحقيق النصر لهذه القضايا يمرّ على جسد العائلة.

ورد في البيان الصادر عن ممثّلي أديار جبل آثوس المقدّس العشرين، تعليقاً على تعميد مطران أميركا ألبيذيفوروس لطفلين يدّعي أبوتهما رجلان مثليان: "إنّه لأمر غريب عن تعاليم الإنجيل والرّوحيّة الأرثوذكسيّة اعتبار زوجين مثليّين أنّهما يكوّنان عائلة، وكذلك الاعتراف لهما بحقّ تبني الأطفال، مثل أيّ شكل من أشكال التّبنّي. فهذا يتعارض ليس فقط مع تعليم الإنجيل والطّبيعة البشريّة، ولكن أيضًا مع روحيّة وتقاليد شعبنا، وهو في الوقت عينه ينتهك أبسط الحقوق لهؤلاء الأشخاص(الأطفال) الأبرياء العزّل، الّذين ليست لديهم إمكانيّة اختيار نمط العيش في بيئة بشريّة طبيعيّة."

يختصر هذا البيان الموقف الأرثوذكسي كله. ما يُسمّى بزواج المثليين ليس زواجاً بمفهوم الكنيسة وبالتالي ما ينتج عنه ليس عائلة. يحاول بعض اللاهوتيين اليوم الالتفاف على الفهم التقليدي للعائلة على ضوء تعليم الإنجيل. يبلغ بعض هؤلاء اللاهوتيين حداً متقدماً من التسازج، كأن يقول أحدهم أن بإمكان المسيحيين أن يقبلوا زواج المثليين استناداً لتعليم بولس بأن في المسيح لا رجل ولا إمرأة!!! أو أن يرى أن أحداً لا يستطيع حجب المعمودية عن طفل، حتى ولو كان مثليّان يدّعيان أبوته، لأن المسيح قال "دعوا الأطفال يأتون إلي" [١٨].

خاتمة

لألفي عام، قدمت العائلة المسيحية بشكلها التقليدي شهادة من خلال حياة العديد من المؤمنين والقديسين. فحياة الأسرة المسيحية هي نموذج للشركة مع الله، ومن خلال التقليد بما فيه من المواعظ والإرشادات حول الزواج وتربية الأبناء، والصلوات والوصايا لتشديد الأسرة في مواجهة التحديات والشدائد، يمكن الاستنتاج

أن العائلة المسيحية الأرثوذكسية أولاً وقبل كل شيء تعيش في اتصال وثيق مع الله الذي هو مصدرها وهويتها. فالعائلة تقرأ الكتاب المقدس لملء قلوب أعضائها وعقولهم بحقيقة الله، وللتعلم عن حياة الآباء والأطفال الذين أصبحوا قديسين والسعي إلى اتباع شهادتهم، كما تشارك العائلة مشاركة كاملة في حياة الرعية من عبادة وأسرار وخدمة. إن علاقة العائلة بالله تكشف الطابع الحقيقي للعائلة وطبيعتها وتختبر محبة المسيح التي تفوق المعرفة وتقدّم مثالًا منظوراً لهدف الله من خلقها، فتصبح كل نشاطاتها وعلاقاتها فرصاً لمشاركة نعمة الله التي تثمِر روحياً وتكشف عن الحياة المباركة والوعود الآتية من الآب. إن عائلة مستوفية لهذه الصفات يبارك الله تبنّيها لأي طفل.

إن خسارة العائلة لأحد أركانها تضعها في خطر لكنها لا تسقطها من حيث هي. أما العائلة التي تبدأ من دون أحد الركنين الأساسيين، أي الرجل أو المرأة، فلا تستطيع أن تبلغ إلى القامة الموصوفة أعلاه. إلى هذا، هناك الكثير من الشواهد العلمية التي تثبت أن ادّعاء رجل أو امرأة أنه قادر على الحلول محل الاثنين معاً لا ينتِج إلا الفشل [١٩].

وبالتعميم المنطقي، ينطبق هذا الكلام على العائلة المثلية، إذ حتى ولو لعب أحد أركانها دور الجنس الآخر، فلا يعدو الأمر كونه لعبَ دور، وليس حقيقياً. لا شيء يوصل إلى الحقيقة إلا الحقيقة نفسها، لأن الحقيقة والطريق هما السيد الذي قال "أنا الطريق والحق والحياة" في آن واحد. فغير الحقيقي لا يقدر أن يكون طريقاً ولا حياةً، بل هو مجرد وَهْم.

مراجع

[1] Πετρή, Ε. (2006). "Εστία, η Θεά του Οίκου", Περιοδικό "ΔΙΙΠΕΤΕΣ", τευχ. 55.
[2] Yarden, Ophir (2012). "Adoption In Judaism". Dialog: A Journal of Theology. 51: 276-283.
[٣] كفالة اليتيم : فضلها وصورها . https://islamonline.net/archive/كفالة-اليتيم-فضلها-وصورها
[4] https://www.etymonline.com/
[5] Rachel Hartigan Shea. “Pets Are Becoming People, Legally Speaking. National Geographic”. April 7, 2014. https://www.nationalgeographic.com/animals/article/140406-pets-cats-dogs-animal-rights-citizen-canine
[٦] خدمة التبنّي. كتاب الإفخولوجي الكبير. الجزء الثاني. ص. ٦٦٩-٦٧٠.
[7] Μαντζαριδης Ι. Γεωργιος (2015). Χριστιανικη Ηθικη (Δευτερος Τομος). Εκδότης Ι.Μ. Βατοπαιδιου. Δεκέμβριος 2015.
[٨] IXL Learning. “Adoption”. Vocabulary.com. https://www.vocabulary.com/dictionary/adoption
[9] St. Thomas Aquinas. “Question 57. Legal relationship, which is by adoption”. The Summa Theologiæ of St. Thomas Aquinas. Second and Revised Edition, 1920. https://www.newadvent.org/summa/5057.htm
[10] Χαρούμενοι Αγωνιστές. Τι γνώμη έχει η Εκκλησία για την υιοθεσία; 16 Ιουλίου, 2019. https://agonistes.gr/2019/07/16/τι-γνώμη-έχει-η-εκκλησία-για-την-υιοθεσ/
[11] Διδυμος Ο Αλεξανδρευς. “Υπόμνημα εις τον Ζαχαρίαν”. Βιβλιοθήκη Ελλήνων Πατέρων (ΒΕΠΕΣ). Τευχος 48. p. 486.
[12] St. Nikodemos the Hagiorite. “Unlawful Marriages Are The Cause of Many Evils” in John Sanidopoulos: “Prohibited Marriages in the Orthodox Church”. March 29, 2013. johnsanidopoulos.com/2013/03/prohibited-marriages-in-orthodox-church.html
[١٣] الناسك المغبوط باييسيوس الآثوسي. “العائلة ونهاياتها”. سلسلة يارواندا. ترجمة دير الشفيعة الحارة - بدبا الكورة. ٢٠١٧.
[14] Μακαριωτάτο Αρχιεπισκόπο Αθηνών και πάσης Ελλάδος κ.κ. Χριστοδούλου. Χαιρετισμός και Έναρξη εργασιών. Συζυγίας και Τεκνογονίας. Συνοδική Επιτροπή Γάμου, Οικογενείας, Προστασίας Παιδιού και Δημογραφικού Προβλήματος. Ξενοδοχείο ΗΛΕΚΤΡΑ. Αθηνα. 13-14 Δεκεμβρίου 2002. https://www.ecclesia.gr/greek/news/2002/dec12_dt2.html
[15] Steve Gutterman. “Russian Orthodox Church head urges followers to adopt children”. Reuters. January 7, 2013. https://www.reuters.com/article/russia-christmas-adoption-idUSL5E9C62L720130107
[16] “Ukrainian priest adopts 25 children, creates center for orphans at his church”. 5/24/2021 . https://orthochristian.com/139480.html
[17] Aurelian Iftimiu. “Patriarch Daniel urges childless families to adopt children or help poor families whose only wealth is many children”. Biserica Ortodoxă Română.10.09.2020. https://basilica.ro/en/patriarch-daniel-urges-childless-families-to-adopt-children-or-help-poor-families-whose-only-wealth-is-many-children/
[18] Απόστολος Λακασάς. “Η βάπτιση που δίχασε την Ιεραρχία και την Εκκλησία”. Vimaorthodoxias. 20/7/2022. https://www.vimaorthodoxias.gr/nea/i-vaptisi-poy-dichase-tin-ierarchia-kai-tin-ekklisia/
[19] OECD. “Supporting single-parent families” in A New National Framework for Improved Support and Protection for Families. 03 Feb 2022. https://doi.org/10.1787/c27e63ab-en

جسد المسيح الحي

الأب جورج فلوروفسكي
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كل المسيح: رأساً وجسداً (القديس أوغسطين) [١]

يكاد يكون من المستحيل البدء بتعريفٍ دقيق للكنيسة لأنه، في الحقيقة، لا يمكن لأي شخص التظاهر باقتنائه السلطة العقائدية. لا يمكننا أن نجد مثل هذا التعريف في الكتاب المقدس أو عند الآباء أو في القرارات أو القوانين الصادرة عن المجامع المسكونية، أو حتى في الوثائق اللاحقة. إن النصوص العقائدية التي تم وضعها في الكنيسة الشرقية في مناسبات مختلفة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والتي غالباً ما تُعتبر (خطأً!) "كتباً تأويلية" [٢] للأرثوذكسية، لا تقدم بحد ذاتها تعريفاً للكنيسة، بل مجرد إشارة إلى المادة ذات الصلة من العقيدة متبوعة ببعض التفسيرات.

إننا متفاجئون من عدم وجود فصل خاص عن الكنيسة في أعمال الآباء القديسين النظامية. يقول الأسقف بيير باتيفول عن أوريجانوس: لا تندرج الكنيسة ضمن الموضوعات التي يدرسها كخبير [بشكل صريح] في "في المبادئ". فهو يعالج الوحدة الإلهية، ويعالج أشياء الزمان الأخير، وحتى التقليد ودستور الإيمان - لكنه لا يعالج الكنيسة. إنه إغفال مستغرب، كان مقدراً له أن يستمر في العقائد اليونانية - على سبيل المثال في العظة التعليمية للقديس غريغوريوس النيصي، وخاصة في عمل القديس يوحنا الدمشقي، وهو إغفال تكرر أيضاً في السكولاستيكية [٣].

في الحقيقة، هذا ليس "إغفالاً" على الإطلاق، إذ يمكننا أن نجد عند الآباء أكثر بكثير مما نتوقعه عن طبيعة الكنيسة ودعوتها. وهذا "الإغفال" لا يقتصر فقط على "العقائد الرومية": لقد كان نموذجياً لكل لاهوت ما قبل السكولاستيكي والقرون الوسطى. حتى توما الأكويني يتحدث عن الكنيسة بشكل عابر وحسب.

ومع ذلك، فإن حقيقة الكنيسة هي دائماً الأساس الذي لا غنى عنه للصرح العقائدي بأكمله، يمكننا حتى القول أنها قاعدته الوجودية. من المسلم به أن ما نجده عند المعلمين العظماء هو رؤية وذكاء ومجد وحدس وشخصية متميزة، أكثر منه فكرة مجردة أو مفهوم رسمي محدد بدقة. ولا ينشأ هذا الغياب عن التعريفات الواضحة عن أفكارٍ مشوشةٍ أو من غموض الإيمان. على العكس من ذلك، لم يكن الآباء القدماء منشغلين بشكل مفرط بالصيَغ على وجه التحديد، لأن حقيقة ظفر كنيسة الله المقدسة كانت في رؤيتهم الروحية واضحةً بشكل لا يرقى إليه الشك. لا يعرّف الإنسان ما هو بديهي.

إن الكنيسة هي حقيقة يعيشها الإنسان أكثر من كونها موضوعاً يحلله ويدرسه. تكلّم الأب سرجيوس بولغاكوف جيداً عن هذا السؤال: "تعال وانظر - لا يتعرّف الإنسان على الكنيسة إلا بالخبرة والنعمة والاشتراك في حياتها."[٤] وما هو أكثر قيمة بالنسبة للآباء هو بالتحديد هذه النظرة الشمولية، هذا المنظور لخطة الله، الذي به يُنظر إلى سر الكنيسة ويصار إلى التأمل فيه. إن منظور الإيمان هذا هو الذي أصبح للأسف محجوباً في العصور اللاحقة. ومن هنا فإن الحاجة الملحّة إلى تعريفات رسمية فرضت نفسها.

من الواضح أن التعريفات الحالية [للكنيسة] التي نجدها اليوم في كتيباتنا اللاهوتية وحتى في تعاليمنا الدينية هي حديثة نسبياً - وأن صيغ اللاهوتيين الشرقيين تستند إلى الأمثلة الغربية. حتى في الغرب، وُضِعَت التعريفات الرسمية الأولى في زمن الإصلاح، في كنيسة روما أيضاً، بروح الخلافات الطائفية وبنيّةٍ جدلية. كان الهدف منها هو تلبية متطلبات عصر معيّن أكثر من التعبير عفوياً عن مجمَل الخبرة الروحية للكنيسة الحقيقية الجامعة. جميع هذه التعريفات كانت "صيغاً" ظرفية. وسيكون من سوء الفهم التام لطبيعتها وأهميتها اللاهوتية اعتبارُها نهائيةً وغير قابلة لإعادة الصياغة. في ظروف تاريخية معينة أصر

البعض، مع التبرير، على منظورية الكنيسة ووصفها بأنها "مجتمع" (أو "جماعة")، على وجه التحديد، إذ في ذلك الوقت بالذات، كان هذا هو جوهر الجدل. لكن من الطبيعي أن هذه التعريفات ثَبُت أنها غير كافية بل وخادعة عندما تغيّر المناخ الروحي. حدث هذا في الغرب خلال فترة التجديد اللاهوتي في القرن التاسع عشر، في ما يسمى العصر "الرومانسي"، مع ازدهار الأفق الروحي والفلسفي، الذي بفضله ظهرت الطبيعة العضوية للكنيسة في وضح النهار: علينا فقط أن نذكر ج.أ. موهلر (J. A. Möhler) [٥] مدرسة تيوبنجن الكاثوليكية.

في الشرق الأرثوذكسي، انطلقت نفس الحركة التنقيحية بواسطة مقال [أليكسي] خومياكوف المنهجي حول وحدة الكنيسة، والذي ربما كان مستوحىً من موهلر [٦]. ولكن قبل خومياكوف بفترة طويلة، وبعمق أكبر وسلطة، قدم الميتروبوليت العظيم فيلاريت موسكو [٧] في عظاته رؤية أوسع وأكثر حيوية [٨]. كل هذه الأعمال كانت مستوحاة إلى حد كبير من الآباء. وراء ما أسميناه الإغفالات مصدرُ رؤيا وحياة لا ينضب. إن التجديد الليتورجي اللاحق استوحى إلهاماتٍ حيويةً أخرى من هذا المصدر. ويمكننا أن نستخلص قدراً كبيراً من النور فيما يتعلق بسر الكنيسة من معلّمي التقوى الليتورجية، كما كان الحال في روسيا، منهم على سبيل المثال الأب الشهير يوحنا كرونشتادت (+١٩٠٩) [٩].

لقد أدرك البعض مؤخراً أن عقيدة الكنيسة لا تزال في مرحلة ما قبل اللاهوت [١٠]. من المؤكد أن التعريفات التقليدية تنتمي فعلياً إلى الأكاديميا أكثر من الكنيسة. فهي لا تسندها أي سلطة جليلة بالمعنى الدقيق للكلمة، ولهذا السبب لا ينبغي اعتبارها كاملة أو إلزامية. هي بالأكثر لاهوتية وليست كلها عقائدية، تقريبية ومؤقتة، تكهنات مدرسية، آراء خاصة للاهوتيين، حتى ولو كانت مقبولة على نطاق واسع (أو حتى "بشكل عام"). لاحظ العديد من اللاهوتيين، من الكاثوليك والأرثوذكس، بوضوح أن الكنيسة نفسها لم تحدِّد بعد جوهرَها وطبيعتها الصحيحة. يقول روبرت جوش: "الكنيسة حتى يومنا هذا لم تحدد نفسها بعد" [١١].

إذا اقترحنا تجاوز هذه التعريفات المعتادة، فإننا لا نقترح أي تنقيحات عقائدية، بل ما نقترحه هو تعديل لاهوتي جديد لصِيَغِنا على ضوء تجربة روحية أكثر عمقاً. يمكننا الكلام بدلاً من العودة إلى تقليد الآباء. في هذا اليوم يجب أن نتجاوز المناقشات والخلافات الحديثة لإيجاد منظور تاريخي أوسع، عالمي حقاً حتى (الذي آمن به الجميع في كل مكان ودائماً) [١٢] أن نكتشف مجدداً "التجربة الجامعة (المتكاملة)" التي تسعى إلى شمول كامل الخبرة التي اكتسبتها الكنيسة في رحلة حجّها عبر العصور.

كما يجب أن نعود من حجرة الدراسة إلى الهيكل، إلى الكنيسة التي تعشق وتصلّي (الكنيسة المصليّة) التي تشهد على إيمانها ورجائها. وربما علينا أيضاً استبدال المفردات السكولاستيكية في اللاهوت بلغة العبادة المجازية الرمزية، التي هي أيضاً لغة الكتاب المقدس. إن توضيح طبيعة الكنيسة بالذات ووصفها ممكن بسهولة أكبر من تحديدها بشكل صحيح، وهذا لا يمكن إنجازه إلا من داخل الكنيسة. على الأرجح أن مثل هذا الوصف لن يقنع الذين ينتمون إلى الكنيسة. وحده الإيمان يستطيع معاينة السر.

إن الحقيقة المسيحية واحدة وغير قابلة للتجزئة ولا ينبغي لنا، كما أننا لا نستطيع، أن نفصل بين عناصرها المكوِّنة - وإلا فإننا نجازف بتشويهها وإساءة تقديرها. وبالتالي، إن الطريقة اللاهوتية الصحيحة هي دائماً طريقة شاملة. الكنيسة هي الجوهر سرّ الخلاص الحيوي. إنها خليقة جديدة من الله، وخُلاصة حية لعمل المسيح الخلاصي. إنها مكان ونَمَط وجوده المستمر في العالم حتى نهاية الزمان. بل وأكثر من هذا: الكنيسة هي المسيح نفسه، المسيح كلّه، للمسيح، وبحسب صياغة القديس أغسطينوس: "يسوع المسيح منسكباً ومُتناوَلاً" (بوسيه) [١٣]. لقد عبّر أوريجانوس حسناً: "لا يمكن العثور على ابن الله إلا في جماعة المؤمنين، وهذا ممكن لأنه يعيش فقط في وسط أولئك الذين يتحدون" [١٤].

ليس لاهوت الكنيسة إلا فصلاً، إنما فصلاً حاسماً، من الخريستولوجيّا. وبدون هذا الفصل، ستكون الخريستولوجيّا نفسها غير مكتملة. إن سر الكنيسة في العهد الجديد يعلَن في سياق الخريستولوجيّا. لقد

قدّمه الآباء الروميّون واللاتين بطريقة مماثلة. يقول القديس أثناسيوس: "كلمة الله صار إنساناً لنصير الله" [١٥].

إن كنيسة المسيح هي بالتحديد المكان السرّي الذي يتمّ فيه ويستديم "تقديس" أو "تأليه" (theosis) البشرية من خلال عمل الروح القدس. في كل ما يتعلق بالمسيح ، "يُناوَل المسيح في هذه الوديعة، أي الروح القدس"، كما يقول القديس إيريناوس. فهو يقول أيضاً إنها "باب الحياة" [١٦]. الكنيسة ذاتها بوجودها هي الشهادة الدائمة للمسيح، وتأكيد انتصاره ومجده وإعلانهما. حتى يمكننا القول إنها خلاصة جميع أعماله. الكنيسة هي المسيحية. ليس فقط عقيدة صحيحة، قاعدة لطريقة حياة محددة، بل حياة جديدة، لمّ شمل الإنسان إلى الله، شركة حقيقية وصميمية معه، بالنعمة كما بالإيمان.

ومع ذلك، فإن الكنيسة هي أيضًا مؤسسة تاريخية حقيقية وواقع أرضي ومنظور. بكونها تجسداً للكلمة، كانت أيضاً حدثاً تاريخياً، رغم أنه سري ولا يُدرَك إلا بالإيمان. إن لِسرّ الكنيسةِ بنيةً تناقضُ القوانين تماماً، مثل سر المسيح، التناقض الكامن في عقيدة خلقيدونية. حقيقتان، إلهي وإنساني، بلا امتزاج، لكن في اتحاد كامل لا يتجزأ. علينا أن نميّز بينهما بجدية، لكننا لا نجرؤ على الفصل بينهما. إن التعريف الدقيق الوحيد للكنيسة هو أنها المسيحية كاملة. وربما كان الأب بافل فلورنسكي محقًا في الإصرار: "فكرة الكنيسة غير موجودة، لكن الكنيسة نفسها موجودة، ولكل عضو حي في الكنيسة، الحياة في الكنيسة هي أكثر الأشياء التي يعرفها تحدياً ووضوحاً" [١٧].

† This is the introduction to Georges Florovsky's extended essay 'Le Corps du Christ vivant: Une interprétation orthodoxe de l'Église' ('The Body of the Living Christ: An Orthodox Interpretation of the Church') published in Georges Florovsky, Franz-J. Leenhardt, Regin Prenter, Alan Richardson and Ceslas Spicq, La Sainte Église universelle: Confrontation oecuménique (The Holy Universal Church: An Ecumenical Confrontation) (Neuchâtel CH: Delachaux & Niestlé , 1948), 9-57. This book, which also contains essays by Protestant and Roman Catholic theologians, was prepared in the context of the ecumenical discussions leading to the establishment of the World Council of Churches at its first assembly held in Amsterdam from 22 August to 4 September 1948. A shorter English version of Florovsky's essay was published as 'The Church: Her Nature and Task' in The Universal Church in God's Design (London: Student Christian Movement, 1948). There is a complete English translation of the essay published by the Orthodox journal The Wheel: The Body of the Living Christ: An Orthodox Interpretation of the Church, trans. and Introd. Robert M. Arida (Boston: The Wheel Library, 2018). (See https://www.wheeljournal.com/ (accessed 22 April 2019)). This translation from the original French version is by Paul Ladouceur (Blane #93d).
This text is taken from: The Patristic Witness of Georges Florovsky. Essential Theological Writings. Edited by Brandon Gallaher and Paul Ladouceur. T&T CLARK. Bloomsbury Publishing Plc. London. 2019. pp 273-277.

1 A key phrase for Florovsky: 'For Christ is not in the head or in the body, but Christ is wholly in the head and in the body [non enim christus in capite et non in corpore, sed christus totus in capite et in corpore] ' (Augustine , Tractates on the Gospel of John 28-54 , trans. John W. Rettig , FC 79 (Washington, DC : Catholic University of America Press , 1993), 28 . 1 . 3-13 at 3/ In Iohannis evangelium tractatus CXXIV, PL 35.1622) [Eds.].

2 'Symbolic books' is an older academic term favoured by non-Orthodox scholars (Orthodox scholars like Florovsky objected to it as misleading) for the various Orthodox doctrinal statements since the seventh and last ecumenical council in 787 that have achieved considerable recognition in the Orthodox Church. These documents include patriarchal encyclicals, statements or confessions of faith, decisions of local councils, patriarchal correspondence with non-Orthodox and catecheses approved by local churches. For a list of the main texts considered 'symbolic books', see Timothy (Kallistos) Ware , The Orthodox Church (London : Penguin , 1997), 203 [Eds.].

3 Pierre Batiffol , L' É glise naissante et le catholicisme [The Emerging Church and Catholicism] (Paris J. Gabalda , 1927), 395 -396 [GF].

4 Sergius Bulgakov , The Orthodox Church [1935] (Crestwood, NY : St Vladimir's Seminary Press , 1988), 3

5 See the discussion of Möhler's influence on Florovsky in the 'Introduction' to this book, 14-17; Ch. 8, 'Western Influences in Russian Theology', n. 62, 145; and Ch. 11, 'The Legacy and the Task of Orthodox Theology', n. 12, 189, in this book [Eds.].

6 See Ch. 8, 'Western Influences in Russian Theology', n. 68, 147; and Ch. 11, 'The Legacy and the Task of Orthodox Theology', n. 11, 189, in this book [Eds.].

7 On Met. Philaret (Drozdov) (1782–1867), see Ch. 1, ‘Creation and Createdness’, n. 13, 36, in this book [Eds.].
8 It is true that in his Catechism (published with the approval of the Holy Synod of Russia in 1823), Philaret of Moscow remained faithful to contemporary school formulae. See especially the magisterial work of Fr Albert Gratieux , A. S. Khomiakov et le movement Slavophile [A.S. Khomiakov and the Slavophile Movement], 2 vols. (Paris : É ditions du Cerf , 1939), in the collection Unam Sanctam , 5 and 6. On Philaret, see I. N. Korsunsky, The definition of the Church in Philaret of Moscow (Khristianskoe Chtenie , 7–8 [July–August 1895]), 47–90; or Aleksei Gorodkov , Dogmatic Theology in the Writings of Philaret of Moscow (Kazan : Tip Gubernskogo pravleniia , 1887) (both in Russian) [GF].
9 St John of Kronstadt (1829–1908) was a popular pastor of the port city of Kronstadt, near Saint Petersburg, author of My Life in Christ . See John Iliytch Sergieff (John of Kronstadt), My Life in Christ: Moments of Spiritual Serenity and Contemplation, of Reverent Feeling, of Earnest SelfAmendment, and of Peace in God , trans. E. E. Goulaeff (1897) (Jordanville, NY: Holy Trinity Publications, 2000) [Eds.].
10 Cf. Mannes Dominkus Koster , Ekklesiologie im Werden [Ecclesiology in the Making] (Paderborn : Bonifacius-Druckerei , 1940). Th is was strongly highlighted more than a half century ago in Russian theology by A. L. Katansky, professor at the St Petersburg Theological Academy [GF].
11 Robert Grosche , Pilgernde Kirche [The Pilgrim Church] “Die Kirche selbst hat sich bis heute noch nicht defi niert “ (Freiburg im Breisgau : Herder Verlag , 1938), 27 . See also Matthias Joseph Scheeben , Dogmatik (Freiburg im Breisgau : Herder , 1883–1887), Vol. IV, 290–291 ; or Mgr Bernhard Bartmann, Pr é cis de th é ologie dogmatique [Precis of Dogmatic Theology] (French trans.; Mulhouse FR: É ditions Salvator, vol. II, 1944), 146: ‘We must note on this question that the Church existed for some fifteen hundred years without reflecting on her nature and without seeking a logical definition – and this applies to the Western Church as well as to the Eastern Church.’ On Orthodox theology, see Stefan Zankov , Das orthodoxe Christentum des Ostens, sein Wesen und seine gegenw ä rtige Gestalt [Orthodoxy Christianity in the West: Its Essence and Present Form] (Berlin : Erschienen im Furche-Verlag , 1928), 65 and the notes (there is an English translation by Dr Donald Lowrie , The Eastern Orthodox Church (Milwaukee, WI : Morehouse , 1929), but without notes) [GF].
12 A famous phrase of St Vincent of Lérins (+c. 445) from Commonitorium [Aide-mémoire] I.2 (PL 50.640). See Florovsky’s discussion of this phrase: Ch. 13, ‘Saint Gregory Palamas and the Tradition of the Fathers’, 221–222, in this book [Eds.].
13 On Jacques-Bénigne Bossuet (1627–1704) and the reference for the citation, see Ch. 4, ‘The Lamb of God’, n. 1, 82, in this book [Eds.].
14 Origen, Commentaria in Evangelium secundum Matthaeum [Commentaries on the Gospel according Matthew], 14.1, PG 13.1188 [GF].
15 St Athanasius, Oratio de Incarnatione Verbi [Oration on the Incarnation of the Word], 54. PG 25.192B. French translation by Fr Pierre Thomas Camelot (Discours contre les païens Incarnation du Verbe [Orations against the Pagans: The Incarnation of the Word] [Paris : Le Cerf , SC 18, 1st ed., 1947]), 18 , 312 ; cf. Introduction, 90; and especially Fr Louis Bouyer , L’Incarnation et l’ Église-Corps du Christ dans la théologie de saint Athanase [The Incarnation and the Church-Body of Christ in the Theology of St Athanasius] (Paris : Cerf , 1943) (Unam sanctam , 11) [GF].
16 St Irenaeus, Adversus haeresus , III, 24, 1 and I, 4, 1. PG 7.966 and 855 [GF].
17 Pavel Florensky , Der Pfeiler und die Grundfeste der Wahrheit [The Pillar and Ground of Truth], in N. von Bubhoff & H. Ehrenberg, eds., Östliches Christentum. Dokumente II: Philosophie (2 vols.) (Munich: C. H. Beck, 1925), vol. 2, 30: ‘There is no concept of ecclesiality, but ecclesiality itself is, and for every living member of the Church, the life of the Church is the most definite and tangible thing that he knows. But the life of the Church is assimilated and known only through life – not in the abstract, nor in a rational way. If one must nevertheless apply concepts to the life of the Church, the most appropriate concepts would be not juridical and archaeological ones but biological and aesthetic ones’ [GF]. [In the main text, Florovsky translates from the 1925 German translation of Florensky’s book and he cites the German text in his footnote. The preceding translation is from Pavel Florensky , The Pillar and Ground of Truth: An Essay in Orthodox Theodicy in Twelve Letters [1913], trans. Boris Jakim (Princeton, NJ : Princeton University Press , 1997), 8 [Eds.].]

اللاهوت الصوفي كطريق إلى معرفة الله الاستنتاجات

إيريني أرتامي وخريستوس تارازيس
نقلتها إلى العربية اسرة التراث الأرثوذكسي

يتفق غريغوريوس النيصّي وديونيسيوس الأريوباجي ومكسيموس المعترف على أن المعرفة الحقيقية الوحيدة عن الله لا توجد في العالم المخلوق، لكنهم كانوا "حريصين على عدم جعل المعرفة الإدراكية، حتى لو كانت محدودة بالضرورة، تبدو غير مهمة. إنهم يصرون على السمو المطلق والجهل المطلق للثالوث، بينما يؤكدون على الدقة المعقولة للكلمات كدالّات لفظية"[٨٤].

بحسب هؤلاء الآباء، يُظهر اللاهوت الصوفي للمؤمنين كيف يمكنهم معرفة الله من خلال نوره [٨٥]، على الرغم من أنه يبقى متعالياً تماماً ولا يمكن الاقتراب منه في جوهره. وبهذه الطريقة يمكن ربط اللاهوت الصوفي بالفائق الطبيعة الذي مبادئه الأساسية تُقبَل بالإيمان الذي يقوم على سلطان الله نفسه، الذي أعلنه لنا بالوحي الإلهي.

إن المشترك في تعليم هؤلاء الآباء الثلاثة حول معرفة الله هو أن اللغة البشرية لا يمكنها التعبير عن التناقض بين إله المسيحيين المتسامي الذي يعلن عن نفسه في هذا العالم على أنه الخالق والفادي [٨٦]. إن معرفة الله لا تعني أن المعرفة عنه، بل الاتحاد به، وللاتحاد به يجب أن يكون الإنسان مثله. لكن الله غير محدود، بينما من الواضح أن البشر محدودون. يلاحظ الآباء أنه يمكن الحصول على معرفة الله بالانتقال من الإنسان الإيجابي إلى التنزيهي. عندئذٍ، التسامي على اللغة البشرية سيساعد الإنسان على التغلب على الصعوبة التي يواجهها الإنسان لإدراك الله.

على هذه الأرضية، يعترف غريغوريوس النيصّي وديونيسيوس الأريوباجي ومكسيموس المعترف بأن الله جذرياً غير معروف. ويشرحون أنه إذا حاول الإنسان حقاً معرفة الله، "بصرف النظر عن المتطلبات الروحية للتطهّر والاستنارة، يجب أن يتقدم مجرداً من أي معنى للمعرفة، وعندها فقط سيكون قادراً على أن يعاين 'بدون عيون' ويعرف 'بدون معرفة' الواحد القائم فوق كل نظر أو علم" [٨٧].

يستخدم الآباء اللاهوت التنزيهي / السلبي للتأكيد على أن الطبيعة الإلهية تبقى فوق أي وصف وفي أي مكان وزمان. لهذا السبب، يتحدث غريغوريوس النيصي عن الغنوفوس (gnofos)، النور الذي لا يُقترب منه والذي يكشف الأشياء غير المرئية عن الله وفيه يقيم الله [٨٨]. بشكل عام، اللاهوت السلبي أو التنزيه ليس غريباً عن التعاليم المسيحية. في الواقع، الكثير من المفردات المميزة والحركات المفاهيمية للتنزيه المسيحي تأتي من الأفكار الأفلاطونية عن الله [٨٩]. أخيراً، على الرغم من أننا لم نُشِر إلى تأثير الأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة على هؤلاء الآباء، فمن المعروف بلا شك أن غريغوريوس وديونيسيوس ومكسيموس قد تبنّوا العديد من مصطلحات وأفكار هذا النوع من الفلسفة وربطوها باللاهوت المسيحي، للتعبير عن حقيقة الله الواحد والثالوث في نفس الوقت.

إحدى النتائج المهمة لإيمان الآباء غير المحدود بالله هي اعتقادهم بأنه، كونه غير محدود، غير مفهوم بشكل أساسي من عقول الكائنات المخلوقة المحدودة [٩٠]. وهكذا كان لاهوتهم تنزيهي. لقد قدّموا بوجوب تعريف الله من خلال ما نعرف أنه ليس هو وليس ما قد نخمّن أنه عليه. إن هذا الإله هو كائن إلهي مجهول جلب كل الكائنات إلى الوجود وفرّق بينها. إنه غير معروف في جوهره، لكنه قد يكشف نفسه للمؤمنين الذين يحاولون جاهدين أن يتّحدوا به. يؤكد غريغوريوس ومكسيموس وديونيسيوس على علاقة معرفة الله بالكنيسة بسبب الليتورجيا المقدسة والإفخارستيا المقدسة. إنهم يقدمون بشكل منهجي رؤيتهم حول صعود الإنسان والكون نحو الله. الليتورجيا الإلهية هي المفتاح المهم لتحوّل الإنسان وتفتّح ذهنه لقبول معرفة الله

أو البحث عنها. كل هذه تخلفها الرموز كما يقول مكسيموس: "في الواقع، إن التأمل الرمزي بالأشياء المعقولة عن طريق الحقائق المنظورة هو معرفة روحية وفهم للأشياء غير المنظورة من خلال المنظور" [٩١].
إلى هذا، يؤكّد ديونيسيوس أنه "وبالمثل، يبقى السر المجلس الإلهي كما هو، فريداً وبسيطاً وغير قابل للانقسام، ومع ذلك، بدافع المحبة للبشرية، يتم توصيفه بصيغة الجمع في توشية مقدس للرموز. إنه يمتدّ ليشمل كل الصور التراتبية. من ثمّ يجمع كل هذه الرموز المتنوعة معاً في وحدة، ويعود إلى أحاديته المتأصلة، ويضفي الوحدة على كل الذين يرتفعون إليها بتقدّس"[٩٢].
كل الآباء يتمسّكون بأن الله وحده هو من يستطيع أن يُعرِّف عن نفسه، كما يفعل في شخص ابنه المتجسّد بيننا. يتفق الجميع على أن عقل الله المستنير يمكن أن يساعد الإنسان على فهم الخالق، إله المسيحيين. "يمكن تعريف هذا النور أو البهاء على أنهما الصفة المنظورة للألوهية، للقوى أو النعمة التي من خلالها يعلن الله نفسه" [٩٣].
بحسب هؤلاء الآباء، الله في جوهره غير منظور وغير معروف. إنهم يستخدمون المصطلحات التنزيهية لطبيعة الله التي لا يمكن فهمها. يتم تحقيق هذا "المعرفة القابضة" بما يتجاوز كل المفاهيم من خلال وساطة الإيمان الوحيدة [٩٤]. إن الكائن الحقيقي هو الله وحده، إذ بحسب الآباء هو الموجود في الطبيعة وليس بسبب شخص آخر. الله وحده هو الذي يوجد بذاته بينما يوجد عالم مخلوق نتيجة قوة الخلق عند الله. للحفاظ على هذا الوجود للمخلوق، يجب أن يبقى الإنسان مرتبطاً بجوهر الوجود الحقيقي، أي الله. هذه هي صفة ظهور الله باستمرار.
باختصار، يمكننا القول أن للآباء العديد من أوجه التشابه في إشارتهم إلى معرفة الله وكيف يمكن للإنسان "معاينته" و"معرفته". هناك العديد من أوجه التشابه بين لاهوت هؤلاء الآباء والفلسفة الأفلاطونية الحديثة، لا سيما فلسفة أفلوطين [٩٥]. لدى غريغوريوس وديونيسيوس ومكسيموس بعض الموضوعات المشتركة مع أفلوطين مثل: ١) الحقيقة المتسامية لا تُوصف ولا يمكن تسميتها ولا يمكن معرفتها. يمكن للإنسان أن يعرف أن الله موجود، ولكن ليس ما هو عليه. ب) استخدام اللاهوت التزيهي - المفردات السلبية. أوضح أفلوطين أن الواحد خلق كل شيء، بما في ذلك نفسه وهو يسلك كهدف لكل شيء آخر. الواحد غير معروف وكامل إلى الأبد. لدى هؤلاء الآباء المسيحيين أفكار متشابهة من حيث طريقة إدراكهم لله. يمكن اعتبار الله والواحد واحداً بسبب ما يظهر أنهما يجسدانه. يُنظر إلى كلاهما على أنه الهدف الأكثر كمالاً والأكبر حتى الآن والذي لا يمكن تحقيقه. يعطي الله المسيحيين نموذجاً يُحتذى به ويمنحهم شيئاً للعمل من أجله. الواحد والله يمنحان الرجاء والهدف لكل من يؤمن بهما. الفرق الوحيد هو أن واحد المسيحيين هو الله الذي يرشد البشر. ويمكن أن يعرفه هؤلاء بتطهير فكرهم من خلال الأسرار المقدسة في الكنيسة.
أخيرًا، ليس من شك في أن هؤلاء الآباء المسيحيين الثلاثة، الذين درسناهم، يملكون معرفة واسعة للفلسفة الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة. ومع ذلك فهم يحتفظون باستقلاليتهم ويؤمّنون الأشكال التعبيرية المأخوذة من الفلسفة اليونانية القديمة لفلسفة مسيحية واضحة.

* هذا المقال هو الجزء الخامس والأخير من:
Eirini Artemi & Christos Terezis (2019). The mystical theology as a path of man for the divine Knowledge in the writings of Gregory of Nyssa, Dionysius Areopagite, and Maximus the Confessor. De Medio Aevo. 13, 2019. 153-176.

الجزء الأول: اللاهوت الصوفي في المسيحية الشرقية
الجزء الثاني: معرفة الله في كتابات القديس غريغوريوس النيصي
الجزء الثالث: معرفة الله في كتابات ديونيسيوس الأريوباغيتي
الجزء الرابع: معرفة الله في كتابات القديس مكسيموس المعترف

84 E. Clapsis, Orthodoxy in Conversation: Orthodox Ecumenical Engagements, Brookline – Massachusetts: Holy Cross Orthodox Press, 2000, p. 42. J. Winters, “Saying Nothing about No-Thing: Apophatic Theology in the Classical World”, Baha'i Library Online 1994, http://bahai-library.com/personal/jw/my.papers/apophatic.html. A.Strezova, “Knowledge and Vision of God in Cappadocian Fathers”, 10-9-2010, http://oodegr.co/english/filosofia/gnwsi_8ewria_kappadokes.htm

85 J. A. McGuckin, Sages Standing in God’s Holy Fire: The Byzantine Spiritual Tradition, London: Darton, Longman and Todd, 2001, p. 129.

86 A. Louth, Denys the Areopagite, London: Geoffrey Chapman Press, 1989, p. 90.

87 Gregory of Nyssa, De vita Mosis, SC 1, ch. 2, 231-3, 8-9 , transl. in english by A. Malherbe and E. Ferguseon, New York, 1978. Dionysius Areopagite, De mystica theologia 2, PG 3, 1025AB. Maximus the Confessor, Ad sanctissimum presbyterum ac praepositum Thalassium, 25, PG 90, 333CD. G. Martzelos, “Kataphasis and Apophasis in the Greek Orthodox Patristic Tradition”, ed. Norbert Hintersteiner, Naming and Thinking God in Europe Today: Theology in Global Dialogue, vol. 1, New York, 2007, p. 256.

88 Dionysius Areopagite, De divinis nominibus, 1, PG 3, 585-587; 2, PG 3, 636-680; Dionysius Areopagite, De mystica theologia 1, PG 3, 997-1025; Dionysius Areopagite, Epistulae, 5.1.1, PG 3, 1073-1077. Maximus the Confessor, Ad Thalassium, 64-65, PG 90, 716C-736B. Cf. Gregory of Nyssa, Ad Theophilum adversus Apollinaristas PG 45, 1273BC; Cf. Gregory of Nyssa, In inscriptiones Psalmorum, PG 44, 532A-D; Gregory of Nyssa, De vita Mosis, SC 1, ch. 2, 311-6, transl. in english by A. Malherbe and E. Ferguseon, New York, 1978; Gregory of Nyssa, De vita Mosis,SC 1, ch. 2, 231-3, 8-9 , 157, 164, transl. in english by A. Malherbe and E. Ferguseon, New York, 1978; Gregory of Nyssa, De vita Mosis,SC 1, ch. 1, 46, transl. in english by A. Malherbe and E. Ferguseon, New York, 1978; Gregory of Nyssa, In Canticum Canticorum, 6,202, 181; Gregory of Nyssa, De vita Gregorii Thaumaturgi, PG 46, 913CD.

89 Ch. M. Stang, “Negative Theology from Gregory of Nyssa to Dionysius the Areopagite”, in The Wiley-Blackwell Companion to Christian Mysticism, ed. Julia A. Lamm, Blackwell Publishing Ltd., 2013, p. 161.

90 In Life of Moses, Gregory writes: “..every concept that comes from some comprehensible image, by an approximate understanding and by guessing at the Divine nature, constitutes a idol of God and does not proclaim God”, Gregory of Nyssa, De vita Mosis, SC1, ch. 2, 164, transl. in english by A. Malherbe and E. Ferguseon, New York, 1978.

91 Maximus the Confessor, Mystagogia 16, PG 91, 693CD, transl. by George Berthold, Maximus Confessor Writings, New Jersey 1985.

92 Dionysius the Areopagite, Celestial Hierarchy, PG 3, 329 A, transl. by Colm Luibhed, with annotations by Paul Rorem, Paulist Press.

93 Vl. Lossky, The mystical theology of the Eastern Church, Crestwood -New York: St Vladimir's Seminary Press, 1994, p. 221.

94 Gregory of Nyssa, In Canticum Canticorum, 6, 183.

95 J. J. Cleary, ed., The perennial tradition of Neoplatonism, Leuven: Leuven University Press, 1997, p. 188-194.

Sources and bibliography

Ang, D., 2011, The model of paradox in Christian theology: perspectives from the work of Henri de Lubac, Sudney.

Artemi, Eirini, 2002, “The sixth oration of Gregory Nyssa into the beatitudes”, Koinonia, 45 (2002) 167-174.

Artemi, Eirini, 2012, Isidore’s Pelousiote triadological teaching and its relation to Cyril’s of Alexandria teaching about the Triune God, Athens.

Artemi, Eirini, 2013, “Gregory Nazianzen’s trinitarian teaching based on his Twentieth. Theological Oration -La doctrina trinitaria de San Gregorio Nacianceno basada en si Quinta Oración Teológica”, in De Medio Aevo 4 (2013/2), p. 127-146, http://capire.es/eikonimago/index.php/demedioaevo/article/view/92.

Artemi, Eirini, 2014, “Man’s “knowledge” and “ignorance” for God in the teaching of Gregory of Nyssa and Nicholas of Cusa”, Mirabilia 19 (2014/2), p. 42-61.

Artemi, Eirini, 2015, “The Divine Gnosiology of Gregory of Nyssa and Nicholas of Cusa”, International Journal of Social Science and Humanities Research ISSN 2348-3164 (online) Vol. 3, Issue 1, (January - March 2015), 11-19, esp. 12 Available at: www.researchpublish.com.

Birjukov, D., 2015, “Hierarchies of Beings in the Patristic Thought. Gregory of Nyssa and Dionysius the Areopagite”, in The Ways of Byzantine Philosophy, ed. Mikonja Knežević,

Contemporary Christian thought series no. 32, Alhambra, California: Sebastian Press, p. 71-88.
Bottiglia, A., 2010, “Gregory of Nyssa's Infinite Progress: A challenge for an integrated theology”, Greek Fathers CHS 662JZ, http://westernthm.files.wordpress.com/2010/05/nyssa_on_infinity.pdf
Carabine, D., 1992, “Gregory of Nyssa on the Incomprehensibility of God”, in The Relationship between Neoplatonism and Christianity, ed. Thomas Finan and Vincent Twomey, Four Courts Press, Dublin, p. 79-99.
Clapsis, E., 2000, Orthodoxy in Conversation: Orthodox Ecumenical Engagements, Brookline – Massachusetts: Holy Cross Orthodox Press.
Cleary, J. J., ed., 1997, The perennial tradition of Neoplatonism, Leuven: Leuven University Press. Cyril of Alexandria, 1964, That Christ is One, in G. M. de Durand, Deux dialogues christologiques, Sources Chrétiennes, t. 97, Paris (=PG 75, 1254-1361).
Daley, B. E., SJ., 1996, “Bright Darkness' and Christian Transformation: Gregory of Nyssa on the Dynamics of Mystical Union”, in Finding God in All Things: Essays in Honor of Michael J. Buckley, S. J., ed. Michael Himes and Stephen Pope, Crossroad - New York, p. 215-230.
Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, PG 3, 585-997, transl. by Jeanne M. House, http://www.reversespins.com/dionysius.html.
Dionysius the Areopagite, 1920, De Mystica Theologia, PG 3, 997-1065, transl. Clarence Edwin Rolt, London: Macmillan.
Dionysius the Areopagite, 1987, De Ecclesiastica Hierarchia, PG 3, 369-584, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press.
Dionysius the Areopagite, 1987, Celestial Hierarchy, PG 3, 119-369A, transl. by Colm Luibhed, with annotations by Paul Rorem, Paulist Press.
Durand, J., 2007, The Many Faces of God. Highways and byways on the route towards an orthodox image of God in the history of Christianity from the first to the seventeenth century, Stellenbosch: Sun Press.
Egan, H. D. SJ, 1984, Christian Mysticism: The Future of a Tradition, Oregon.
Egan, H. D. SJ, 19962 , An Anthology of Christian Mysticism, Minessota.
Gregory of Nyssa, 1960, Contra Eunomium, Werner Jaeger, ed., Gregorii Nysseni opera, Leiden: Brill, trans. in English by Stuart George Hall. The translation exist in Gregory of Nyssa, Contra Eunomium II, an english version with supporting studies, Lenka Karfíková, Scot Douglass, Johannes Zachhuber eds, Leiden- Boston 2007.
Gregory of Nyssa, Contra Eunomium, I, Originally translated for the Nicean and Post-Nicean Fathers Series II Vol. 5, ed. Philip Schaff. Accessed at http://ccel.org.
Gregory of Nyssa, 1978, De vita Mosis, ed. J. Daniélou, Grégoire de Nysse. La Vie de Moïse, 3rd ed. Sources Chrétiennes, t. 1, Paris, 1968, (=PG 44, 298-434), transl. in english by A. Malherbe and E. Ferguseon, New York.
Gregory of Nyssa, Apologeticus on Hexaemeron, PG 44, 61-124, translated by www.documentacatholicaomnia.eu/.../0330-0395.
Gregory of Nyssa, In Canticum Canticorum, transl. By Casimir McCambley, Brookline: Hellenic College Press.
Laird, M., 2007, Gregory of Nyssa and the Grasp of Faith: Union, Knowledge, and Divine Presence, Oxford: Oxford University Press.
Louth, A., 1989, Denys the Areopagite, London: Geoffrey Chapman Press.
Lossky, Vl., 1994, The mystical theology of the Eastern Church, Crestwood -New York: St Vladimir's Seminary Press.
Lossky, Vl., 1985, In the Image and Likeness of God, New York: St. Vladimir's, Crestwood.
Lossky, Vl., 1978, Orthodox Theology: An Introduction, trans. I. and I. Kesardoci - Watson, Crestwood -New York: St Vladimir's Seminary Press.
Lossky, Vl., 1939, “La théologie négative dans la doctrine de Denys l’ Aréopagite”, Revue de Sciences Philosophiques et Théologiques 28: 204-221.
Martzelos, G., 2007, “Kataphasis and Apophasis in the Greek Orthodox Patristic Tradition”, ed. Norbert Hintersteiner, Naming and Thinking God in Europe Today: Theology in Global Dialogue, vol. 1, New York, p. 247 – 263.
Maximus the Confessor, 1979, Capita de Charitate, text from Gerald Eustace Howell Palmer, Philip Sherrard, and Kallistos Ware, trans. and eds, The Philokalia: The Complete Text, vol. 2, London & Boston: Faber & Faber.
Maximus the Confessor, 1996, Letter 2, PG 91, 392-408, in the On Love in A. Louth, Maximus the Confessor, Routledge, transl. by A. Louth.
Maximus the Confessor, Ambiguorum Liber, PG 91, 1031-1418, transl. by Eirini Artemi
Maximus the Confessor, 2003, Ad Thalassium, PG 90, 244-786, transl. by Paul Blowers and Robert Wilken, St. Vladimir’s Press.

Maximus the Confessor, Capita theologiae et Oeconomiae, PG 90, 1083-1462, trans. G.E.H. Palmer, Philip Sherrard, and Kallistos Ware.
Maximus the Confessor, 1985, Mystagogia, PG 91, 658-722, transl. by George Berthold, Maximus Confessor Writings, New Jersey.
McGuckin, J. A., 2001, Sages Standing in God's Holy Fire: The Byzantine Spiritual Tradition, London: Darton, Longman and Todd.
McInerny, R., "A History of Western Philosophy, vol. II, part I: The Age of Augustine", Jacques Maritain Center, http://www3.nd.edu/Departments/Maritain/etext/hwp203.htm [access 19.9.2016].
Musurillo, H., 2001, From Glory to Glory: Texts from Gregory of Nyssa's Mystical Writings, repr. Crestwood, New York: St. Vladimir's Seminary Press.
Nesteruk, Al. V., 2003, Light from the East: Theology, Science, and the Eastern Orthodox Tradition, Minneapolis: Fortress Press.
New Testament, 2000, publ. Apostoliki Diakonia, Athens.
Old Testament, 2000, publ. Apostoliki Diakonia, Athens.
Papanikolaou, Ar., 2006, Being With God: Trinity, Apophaticism, and Divine- Human Communion, Indiana: Notre Dame.
Parker, Th. H. L., 2015, Calvin's Doctrine of the Knowledge of God, Oregon: Wipf and Stock.
Plested, M., 2004, The Macarian Legacy: the place of Macarius-Symeon in the eastern Christian, Oxford: Oxford University Press.
Plotinus, 1959, Enneads, Plotini opera, vol. 2, Leiden: Brill, p. 260-427.
Porta, S. La, 2009-2010, "Two visions of Mysticism: The corpus dionysiacum and the Book of Lamentation", Revue théologique de Kaslik, 3-4, p. 243-257.
Proclus, The elements of theology, A Revised Text with Translation, Introduction, and Commentary, by E.R. Dodds.
Rolt, C. E., 1920, Dionysius the Areopagite: On the Divine Names and the Mystical Theology, London: Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library - SPCK.
Russell, N., 2009, Fellow Workers with God: Orthodox Thinking on Theosis, Crestwood -New York: St Vladimir's Seminary Press.
Schäfer, Chr., 2006, The Philosophy of Dionysius the Areopagite. An Introduction to the Structure and the Content of the Treatise On the Divine Names, Leiden – Boston: Brill.
Stang, Ch. M., 2013, "Negative Theology from Gregory of Nyssa to Dionysius the Areopagite", in The Wiley-Blackwell Companion to Christian Mysticism, ed. Julia A. Lamm, Blackwell Publishing Ltd. https://doi.org/10.1002/9781118232736.ch11
Strezova, A., 2010, "Knowledge and Vision of God in Cappadocian Fathers", published on: 10-9-2010, http://oodegr.co/english/filosofia/gnwsi_8ewria_kappadokes.htm.
Terezis, Chr., 2002, Searches to the ancient Greek Philosophy, Patra. Terezis, Chr., 2011, Plato – Aristotle: to a reconciliation, Thessaloniki.
Terezis, Chr., 2000, "Aspects de la notion de mal chez Proclus et chez Denys l' Aréopagite. Une rencontre", Byzantion, 70, p. 491-506.
Versluis, A., Dionysius' Mystical Theology, www.esoteric.msu.edu/VolumeII/MysticalTheology.html
Winters, J., 1994, "Saying Nothing about No-Thing: Apophatic Theology in the Classical World", [Bahai Library Online 1994], http://bahailibrary.com/personal/jw/my.papers/apophatic.ht